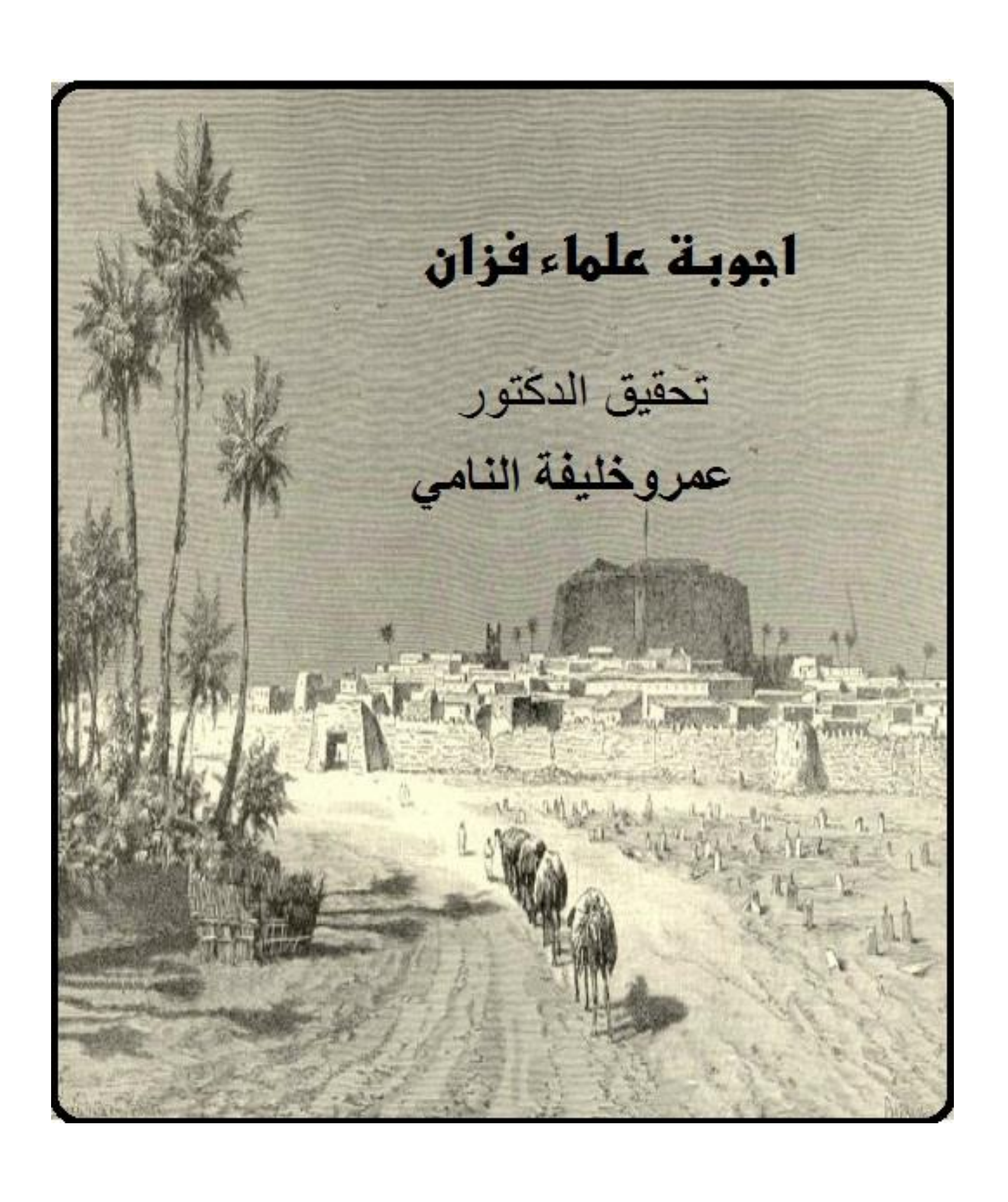

اجوبة علماء فزان
تحقيق الدكتور
عمروخليفة النامي

كتاب : أجوبة علماء فزان.

المجموعة الأولى

حققها وكتب مقدمتها:

الدكتور عمروخليفة النامي

بسم الله الرحمان الرحيم

حول عنوان المخطوطة:

العنوان الذي اخترناه لهذه المخطوطة هو » أجوبة علماء فزان « هذه المجموعة هي المجموعة الأولى. والمجموعة الثانية من هذه الأجوبة هي جوابات وفتاوى الشيخ بكار بن محمد الفزاني. وستصدر في فصلة مستقلة بعد هذه التي نصدرها اليوم.

...وهذا العنوان أقرب شيء للدلالة على محتويات المخطوطة وطبيعتها، العنوان الأصلي الذي يظهر في بداية هذه الأجوبة في المخطوطة البارونية بجربة هو : جوابات جناو بن فتى المديوني إلى بعض أهل فزان.

وظاهر أن العنوان من وضع الناسخ لتمييز المحتوى المدرج في المخطوطة عما سبقه من الأجوبة . وهي أجوبة جابر بن زيد (1) . وقد كنا نحتفظ بهذا العنوان لو كان يدل

على محتوى المخطوطة، ولكنه لا يفنى بذلك . فأجوبة جناو بن فتى هي جزء من المخطوطة، وتوجد إلى جانبها أجوبة عبد القهار بن خلف، ثم تأتي أجوبة بكار بن محمد الفزاني. وعند إعداد هذه الأجوبةوتحقيقها رأيت أن أجعلها مجموعتين:

الأولى تحتوي أجوبة جنا و بن فتى و عبد القهار بن خلف...

والثانية وتحتوي فتاوى وأجوبة بكار بن محمد الفزاني....

وقد دفعني إلى هذا أن الشماخي عند كلامه عن هذه الأخيرة ذكر أنها نقلت من كتاب له (2) فهي إذا جزء من كتاب، ومن ثم تختلف في بنائها وطبيعتها إلى حد ما عن المجموعة الأولى التي تتميز بالإضافة إلى طبيعتها الفقهية العلمية، بأنها رسائل إخوانية وعظية.........

---

(1)انظر مقالتنا

(2)الشماخي ، السير ص 192 و نص تلك الفقرة و منهم محمد بن بكار الفزاني و انطلقت له على مسائل نقلت من كتابه.

(1/1)

وكذلك فإن هذه المجموعة الأولى قد حققتها من أصل واحد قديم، ولم أتمكن من الحصول على نسخة أخرى منها مع طول البحث، بينما توفر لدي نسخة أخرى جيدة لأجوبة بكار بن محمد الفزاني بخط المحقق الفاضل الشيخ عبد الله بن يحي الباروني رحمه الله، ودفعني هذا إلى فصل مجموعة الشيخ بكار وإخراجها في جزء مستقل مع دراسة تلائم طبيعتها وقيمتها الفقهية ... وبعد هذا الإيضاح البسيط حول عنوان هذه المجموعة من الأجوبة ننتقل إلى الكلام عن محتواها.

تحتوي هذه المخطوطة على مجموعتين متداخلتين من الأجوبة الفقهية كتبها كل من جناو بن فتى المديوني، وعبد القهار بن خالف. والكتاب الأول كتبه عبد القهار بن

خالف إلى أبي يوسف وريون بن الحسن وهو كالمقدمة للأجوبة الأخرى التي وجهها جميعا إلى أبي يوسف، ما كتبه هو أو ما كتبه أبو الحسن جناو بن فتى إلى عبد القهار وأبي يوسف وأبي بكر عتيق بن أسدين.

والجواب الثاني من جناو بن فتى المديوني إلى عبد القهار بن خالف، وهو كما يظهر رد على كتاب وصل إليه من عبد القهار ... وفي هذا الكتاب يعظ جناو بن فتى عبد القهار بن خلفويذكره ويحثه على تلاوة القرآن وتدبر آياته، ويعتذر إليه عن عدم إمكان الجواب لأسباب منها:

.... «أنه تباعدت بنا وبك الدور، وتفرقت بنا وبك الأوطان فلا يمكن وصول الكتاب أو الجواب إلا بعد أشهر (1.» (

وهو في هذا الجواب – يدعو عبد القهار إلى القدوم عليه » للمناظرة والمذاكرةوالتفقه في الكتاب والسنة « ويقول له :» واعلم – يرحمك الله – أني شديد الشوق إلى قدومك وإحداث العهد بك لعلك تستفيد من كتب أبي عبيدة –رحمه الله– ، فإني أرجو أن تمكن

اليوم إن شاء الله لعل الله يحي بك أهل هذه الدعوة فتحي لهم آثار سلفهم المهتدين وتكون لهم منارا « (2. (

---

(1)جواب رقم 2

(2)جواب رقم 2

(1/2)

وترد في هذا الجواب إشارة إلى عالم من علماء فزان المعاصرين لهما هو إدريس الفزاني –وهوعالم فقيه صاحب كتب وتآليف – وقد ذكر جناو بن فتى في خطابه هذا أنه رد جوابه إليه. ثم طلب من عبد القهار بن خلف أن يحضر كتب إدريس لمدارستها والنظر فيها : ».....فإن قدر لك النهوض إلى ما قبلنا فليكن معك ما سننظر فيه من كتب أخينا إدريس أكرمه الله تعالى وأعانه ووفقه بالتوبة والإزدياد مما طلب وجعل ذلك له في

الله وله « (1) وقال أيضا :» وقد رددت جواب كتابه وغيره « (2) وفي هذا إشارة صريحة إلى أن كتابا قد كتب به إدريس الفزاني إلى جناو بن فتى وأنه قد رد جواب كتابه إليه.

...ولكننا لا نجد رده على جواب إدريس في هذه المجموعة التي بين أيدينا – ولعل المستقبل يكشف لنا عنه وعن غيره.

...والكتاب الثالث من جناو بن فتى إلى أبى يوسف وريون بن الحسن .. وبعد مقدمة تحتوي على مواعظ معبرة مؤثرة يوصيه فيها بالتقوى والقيام بالقسط والعدل، ويؤكد فيها على التمسك بالحق والحكم بما أنزل الله ويعتذر فيها عن نفسه اعتذار العلماء الأتقياء، يجب على أربعة عشر سؤالا من مسائل الأحكام أجوبة طويلة مستفيضة، يعرض السؤال ملخصا أولا، ثم يندفع في الإجابة عليه حتى إذا استوفى جوابه انتقل إلى غيره.

...والجواب الرابع من جناو بن فتى أيضا إلى أبي بكر عتيق بن أسدين، وفي هذا الجواب يدخل على المسائل بدون مقدمة على غير عادته. ونحن نرجح أن الناسخ قد

أسقط المقدمة من هذه الأجوبة واكتفى بالأسئلة وردودها. ويحتوي هذا الجواب على أجوبة لأربع عشرة مسألة أخرى.

...أما الجوابان الخامس والسادس فقد كتبهما عبد القهار بن خلف. كتب الأول ردا على رجل من إخوانه، ولم يسمه، أرسل إليه يهنئه بزواجه من ربيبة أبيه، ويستوضحه عن سبب عودته في فتياه وإباحته هذا الزواج بعد ما كان يقول بكراهته.

---

(1)جواب رقم 2

(2)جواب رقم 2

...وقد أجاب عبد القهار عن هذه المسألة في رسالة مستفيضة يذكر فيها تفاصيل هذا الأمر وما اكتنفه، وأنه قد إستخار الله تعالى في ذلك فَخَارَ له زواجها وبسط له أمرها ويسره، كل ذلك في تفصيل شيق ممتع.

...أما الكتاب الآخر فهو من عبد القهار إلى أبي يوسف وريون بن الحسن. ردا على كتاب بعث به إليه وريون يطلب إليه فيه أن يكون له عينا على قاضي شباهة (سبها)، وأن يأخذ بنصيبه من أمور الإسلام. ويكشف جواب عبد القهار في هذا الشأن عن صورة من صور التنزه والتحرج عن الدخول في أمور الناس عند فساد الزمان. وقد برر موقف العزلة الذي ارتضاه بضعفه وتقدمه في العمر، عرض أمره هذا في إطار من النصيحة الصادقة، والموعظة البالغة لنفسه ولوريون في أسلوب مؤثر وجميل...

...وإذا تأملنا مادة هذه الأجوبة وجدنا أنفسنا أمام نماذج رفيعة من الفقه الحي الذي يرتبط بروح الدين الإسلامي الحنيف غضا طريا لم يشبه جمود الشكل الذي ظهر على الفقه في عصوره المتأخرة، مما يؤكد تقدم هذه الأجوبة من الناحية الزمنية.

...وأنت تقرأ أجوبة هذين الشيخين على ما وجه إليهم من مسائل ومشاكل فتجد نفسك مع كل منهما أمام فقيه مجتهد مصلح بمهمة قيام الحق وحصول التقوى مع الوقوف عند حدود الحكم الصحيح الثابت. كل منهما ينبه إلى ذلك ويحث عليه مع تمام الشفقة وكامل النصيحة للسائل، هذا مع تواضع جَم، وإنابة وتسليم لله، واهتمام باتباع أحكامه والتزام أوامره والإقتداء بسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

(1/4)

...تلمس ذلك واضحا في توجيهات جناو بن فتى إلى وريون، فهو يقول له :» ولا ينجيك من الله إلا الحكم بما أنزل الله « (1) . ويقول : » فلم يكن الحكم إلى آراء الرجال – وقد أغناهم بما أنزل عن آراء الرجال (2) ..... وهو في أجوبته إلى كل من كتب إليهم يحرج على سائليه أن يفتوا من قوله بغير ما وافق كتاب الله وسنة رسوله، ويجعل الحكم إليهما وحدهما، ويطلب من عبدالقهار أن يسقط من أجوبته ما خالف

الكتاب والسنة، وذلك قوله في آخر كتابه إلى عبد القهار :"ولم أجعلهم في حل من فتوى ما كتبت به إليهم إلا ما وافق كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام. فإن رأيت تطلع ذلك وتسقط منه ما أرابك فافعل" (3. (

وهو لا يكاد يورد حكما في أجوبته هذه إلا مقترنا بدليله الناصع من الكتاب أو السنة، بما يسوقه من آيات الكتاب الكريم أو أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وروايات المسلمين وأحكام الخلفاء الراشدين المهديين، مع التأكيد على امتثال أحكام ذلك الجيل الأول والإقتداء بسيرته. وما ذكرناه عن جناو بن فتى هنا يصدق على زميله عبدالقهار بن خلف.

ويظهر أن مادة هذه الأجوبة ترجع في أصولها إلى تابع التابعين، ونحن لا نجد ذكرا للفقهاء المقتدمين عدا جابر بن زيد وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، مما يجعلنا نفترض أن جناو بن فتى خاصة، ينتمي إلى طبقة حملة العلم من إباضية المغرب الذين ذهبوا

إلى البصرة من أطراف شتى من البلاد الإسلامية لتلقي العلم عن إمام الإباضية بالبصرة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة.

---

(1)مقدمة الجواب رقم 3

(2)مقدمة الجواب رقم 3

(3)الفقرة الأخيرة من الجواب رقم 2

والمشهورون من هؤلاء الطلبة الذين قصدوا أبا عبيدة من شمال إفريقيا لتلقي العلم هم عبدالرحمان بن رستم، وأبو درار إسماعيل بن درار الغدامسي. وعاصم السدراتي، وأبو داود القبلي (1) . وقد عرف هؤلاء في كتب السير الإباضية بحملة العلم. ولكن المصادر الإباضية تذكر، غير هؤلاء، ابن مغطير الجناوي الذي رحل إلى البصرة قبل

هؤلاء وتتلمذ على أبي عبيدة في فترة مبكرة ورجع إلى الجبل وجلس للإفتاء به قبل رجوع حملة العلم (2) . ونحن لا نستبعد، بل نرجح أن يكون هذا الاتصال العلمي بالبصرة قد شمل غير هؤلاء، وفي فترات متلاحقة متتابعة – وأن يكون إلى جانب حملة العلم الخمسة المشهورين الذين ساهموا في تأسيس الإمامة الإباضية في طرابلس وتاهرت – غيرهم من المغمورين الذين شغلهم تلقي العلم وتدريسه والقيام به، عن أمور السياسة والحكم، ولعل أن يكون جناو بن فتى منهم – نستظهر لذلك بإشارته إلى كتب أبي عبيدة التي يدعو عبد القهار للحضور إليهم للإستفادة منها – وإذا تأسس هذا الفرض، فإن هذه الأجوبة وهذه الطبقات من العلماء تنتمي إلى تلك الفترة التاريخية المبكرة –أواخر القرن الثاني، وأوائل القرن الثالث للهجرة – ونستأنس لذلك أيضا بترتيب الشماخي رحمه الله، فقد جعل هؤلاء العلماء ضمن الطبقة الرابعة وهي طبقة الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (3. (

وهذا أشبه بحقائق التاريخ. فإن هذه الفترة قد شهدت إمتداد نفوذ الدولة الإباضية وإتساعه مابين تاهرت إلى سِرْت مع كل المناطق الداخلية في المنطقة الممتدة بين فزان والشريط الساحلي –وما يوازيها في المغرب الأوسط (4. (

---

(1)أخبارهم في : الطبقات للدرجيني: تحقيق إبراهيم طلاي:ج 1 : وما بعدها. أنظر

(2)الشماخي: السير: 143

(3)الشماخي: السير: 144-192

(4)أنظر حول حدود الدولة الرستمية : الدكتور سعد زغلول عبدالحميد تالايخ المغرب العربي(دار المعارف: 1964)ص396-398

(1/6)

...غير أن بعض الإشارات في هذه الأجوبة تشير إلى ضعف أمر الدولة الإباضية وضعف أهلها والقائمين عليها في الشرق والغرب (1) ، وتذكر في موضع آخر » إن المسلمين اليوم في كتمان « (2) والكتمان إصطلاح يعني عدم قيام الإمامة الظاهرة. وفي هذا إشارة واضحة إلى تقلص نفوذ الإمامة عن هذه المناطق مما يرجح أنها تشير إلى ما بعد وقعة » مانو « التي تضعضع بعدها بنيان الدولة الرسمية سنة 280 هـ...

وينبغي أن ننبه هنا إلى أن سقوط الإمامة لا يعني إنهيار المجتمعات الإباضية معها، ولكن هذه المجتمعات ضلت متماسكة تربطها صلات وثيقة تعمل من خلالها على المحافظة على كيانها الديني والعلمي والإجتماعي وإن لم تتمكن من إقامة الإمامة بعد سقوط الدولة الرستمية – إلا أن مناطق كثيرة بسبب شحوطها عن مراكز النفوذ لدول السواحل الإفريقية في الشمال – كانت تتمتع بواقع سياسي فريد، تختار فيه من أهل الحل والعقد فيها من يقوم بإنفاذ الأحكام في نطاق محدود –وقد كان هذا هو الحال في جبل نفوسة (3) ، ولعل دور وريون بن الحسن في مناطق فزان – وعليه مدار أكثر هذه

الأجوبة – لعل دوره كان من هذا اللون. فقد وصفه الشماخي بأنه من القائمين بالأمر في فزان (4) وهذه هو أقرب ما يمكن أن ينتهي إليه الدارس في تحديد المرحلة الزمنية لهذه الأجوبة.

وترد في كتب السير الإباضية إشارات تفيد وجود صلاة وثيقة بين جبل نفوسة وبين فزان مما يدل على إرتباط فزان ودواخلها ببقية الجماعات الإباضية في الجبل وغيره.

---

(1)الجواب رقم 3 سؤال رقم 7

(2)الجواب رقم 4 سؤال رقم 4

(3)علي معمر: الإباضية في موكب التاريخ الحلقة رقم 2: ص145 و ما بعدها.

(4)الشماخي: السير: 192.

فقد روى عن أبي خليل صال الدركلي، وقد عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري (1) ، أنه قال لتلاميذه :» إيتوا المجالس يا كسالى «، فقد حضرها من حضرها ما بينه وبين قايس، وما بينه وبين فزان، حتى وقع عليه السارق فجرحوه سبعة عشر جرحا فدخل في مغارة فمكث فيها أربعين يوما ما أكل ولا شرب إلا ما رأى في منامه أنه أطعم وأسقي، فخرج وقد نضر بدنه نضرة لم يرها قط » فظنوا أنه ذلك الرجل «. (2(

ويظهر من هذا النص أنه كانت الإباضية مناطق عامرة بحلقات الدرس ومجالس العلم ما بين جبل نفوسة وقايس وما بين جبل نفوسة وفظان.

ويذكر الشيخ مقرن بن محمد البغطوري إجتماع مواكب الحج من إباضية المغرب بعد منصرفهم من الحج، قال :» فكانوا يجتمعون أماس ؛ أهل أفريقية وأهل جربه وأهل طرابلس، وقد بلغنا أنهم يجتمعون في نحو ألف أو أقل أو أكثر لا يكون المجلس بينهم إلا بالترجمان، فكانوا يجتمعون في الصحراء ما بينهم وبين فزان .. « (3) وهذا بعد انقطاع الأمر من تاهرت (4) . وكذلك فإن صلة ثقافية علمية متينة كانت تربط بين

فزان ومناطق الإباضية الأخرى. فهذا أبو مدراس عندما يذكر أمر الولاية يقول: » لا أعرف إلى هذا الإمام ؛ يعني عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، ووزيره، وهذا الفزاني ، ولم أره وانما أعرفه بكتابه ؛ يعني عبد الخالق « (5. (

---

(1)أبو عبدا لله محمد بن وكرياء الباروني: طبقات الإباضية(مخطوط) ص21

(2)البغورطي: سير مشائخ نفوسة (مخطوطتي الخاصة) [أ:20]،الدرجيني: الطبقات: 2: 301، الشماخي:السير:

(3)البغورطي: السير: [ب: 6]

(4)السابق.

(5)البغورطي: مشائخ نفوسة: [ب: 37]، الشماخي: السير: 190

ويذكر نفس المصدر أن أبا مدراس قد كاتب عبد الخالق يسأله أن يدعو الله ليغيث الجبل، وأن يصف له دواء الريح وتحفظ لنا كتب السير جواب عبد الخالق الذي يزخر بمعنى التوكل والإعتماد على الله والتسليم له سبحانه فيما يمتحن به عباده من الشدة في الحياة أو المرض في البدن، وذلك قوله في جوابه لأبي مدراس (1) : »إن دواء مرض الريح دواء الذنوب، فمثلك يا أبا مدراس لا يسأل إلا عن دواء الذنوب. »

أما عن سؤاله أن يدعو الله أن يخلف على الناس فقد كتب له بهذه الآية الكريمة :{ .... وَلَوْ بَسَطَ الله الرزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ، وَلَكن يُنْزِلُ بِقَدْرِ مَا يَشَاءُ }. (2(

ونص الدرجيني في » الطبقات « أكثر وضوحا في ذكر إعتماد إباضية الجبل على فتوى عبدالخالق الفزاني خصوصا في أمر الدماء – ولعل هذا يكشف لنا عن المكانة العظيمة التي يحتلها عبد الخالق الفزاني لدى زملائه من علماء المذهب في الجبل إذا عرفنا أمر الدماء وخطرها وما ينبغي أن يتحلى به المفتي في شأنها من شدة الورع وكمال التقوى وبلوغ الغاية القصوى في العلم. يقول الدرجيني في الطبقات : » وكان أبو

مدراس إذا نزلت عنده نازلة من مسائل الدماء كتب بها إلى عبدالخالق الفزاني يستفيته فيكون العمل بما يجاوبه به، وذلك لكونه يرى عبد الخالق أعلم أهل زمانه بالدماء وأحكامها « (3. (

---

(1)البغورطي: مشائخ نفوسة: [ب: 37]

(2)سورة الشورى: 27

(3)الدرجيني: الطبقات: 2: 293

(1/9)

وفي السير أن بعض الأشياخ المتكلمين من أهل فزان بعث إلى عمروس بن فتح المساكني(متوفى سنة 280 هـ) أن يؤلف له كتابه كتابا في الأصول فكتب إليه الكتاب المعروف بالعمروسي. وكتب له رسالة. فلما رآه الفزاني، وهو الذي وضع الكتابين

المعروفين بأصول الكلام قال:» النفوسي أقوى مني « (1) ولم ينبه البغطوري ولا الشماخي على اسم هذا العالم المتكلم من فزان، وقد يكون عبدالخالق أو غيره.

وتحفظ لنا كتب » السير « إسم عالم آخر وهو عبد الحميد الفزاني الذي يقول عنه الوسياني :» وهو عالم كبير من علماء أهل الدعوة وكان في بلاد السودان مسيرة شهر من جبل نفوسة « (2) . ويذكر في الروايات أن أبا معروف ويار بن جواد الويغوي عندما أصيب ببصره بعث إلى السيخ عبد الحميد فقال : أرسل لي دواء العين، وكان جواب الشيخ عبد الحميد من جنس جواب عبدالخالق الذي ذكرناه آنفا فقد قال حين بلغته رسالة أبي معروف :» عجبا لهذا الشيخ، أعطاه الله شفاء الذنوب ثم يسأل ما يزيله عنه !! « (3.)

وعدا ما ذكرناه من النصوص التي تصور العلاقة العلمية بين جبل نفوسة وفظان، فنحن لا نعلم تماما متى انقطعت هذه الصلة الثقافية ولا نجد ما يعيننا على تصور مظاهر إتصالها. وقد جاء في بعض الروايات أن هذه الصلة كانت قائمة حتى أواخر أيام أبي

الربيع سليمان بن هارون الملوشائي (عاش خلال الخمسين الأخيرة من المائة الرابعة للهجرة (4) . قال البغطوري في سير مشائخ نفوسة :وقد جاءته الكتب من فزان بعدما كبر وضعف عن القراءة، فيقول : ياليتني أدركتهم في شبيبتي، فيقرأ عليه واحد منهم، يعني طلبته، حتى يفتر ثم يرجع الآخر فيدرس عليه إلى آخر الليل (5. (

____

(1)البغورطي:سير مشائخ نفوسة:[ب: 117]، الشماخي: السير: 229

(2)الوسياني: السير:4

(3)الوسياني: السير: 4، الشماخي: السير:294

(4)الباروني: طبقات الإباضية: 29

(5)البغطوري: سير مشائخ نفوسة:[ب 27]، لبشماخي: السير: 305، وهو يذكر أسماء الطلبة.

ويظهر مما تجمع لدينا من معلومات، أن هذا الإقليم لم يكن يتمتع بالإستقرار الذي يعين على إزدهار الحياة العلمية والثقافية، بل على العكس من ذلك، حيث الغارات وما يصحبها من نهب وقتل وتدمير كانت الطابع الذي يفرض نفسه على الحياة في هذه البلاد.

وتحفظ لنا كتب " السير" هذه القصة عن أهل " تامزاوت " الذين تعرضوا للغارة والقتل فأزعجوا عن بلدهم وغدروها فخلت منهم بعد عمرانها فقد روى عن" أبي بحر الفزاني من أهل تامزاوت صلى بهم العيد بأربعمائة ثم صلى بهم العيد المقبل بمائتين وقيل بمائة فلتفت إليهم بعدما فرغ فقال لهم : إنتقصتم يا أهل تامزاوت فربي يعلم ماذا يحل عليكم. ثم صلى بهم العيد الثالث بخمسين رجلا فالتفت إليهم فقال لهم مثل مقالته الأولى، ثم صلى بهم العيد الرابع بثلاث وهو وإبنان معه، فلما فرغوا إلتفت إلى إبنيه فقال لهم :

الرحيل. فاشتغلوا بالرحيل ففاجأهم العدو فوجدهم على الرحيل فدخل إبناه في القتال فقتلا

فدخل العدو البلد فوجدوا أبا بحر فلم يجدوا ما يقتلون من الكبر " (1. (

فطابع الغارة والصراع قبل كان فيما يظهر هو الغالب على الحياة في هذه المناطق في تلك الفترات، وهو ما نلمس ملامحه في هذه الأجوبة التي بين أيدينا والتي تتعرض بعض المسائل إلى الموقف الصحيح من مثل هذا القتال، وما ينبغي على المسلم في مثل تلك الحال. بل أن أحدها يصور لنا لونا من تلك الوقائع وما يترتب عليها عند الحديث عن هزيمة واريون بن الحسن وإبراهيم بن أسدين وورودهم على شباهة (سبها) من موقع هزيمتهم (تراغن) وما كان من خروج الشيخ عبد القهار بن خلف عن سبها إلى زريعة. حيث الأمور – فيما يظهر – أكثر استقرارا وأمنا (2. (

واعتمادا على المصادر الإباضية فإننا نستطيع أن نستخرج القائمة التالية من أسماء المشائخ

____

(1)البغطوري: سير مشائخ نفوسة: [ب 135-136]، الشماخي: السير: 244-245

(2)الجواب رقم 5

(1/11)

والعلماء من أهل فزان. وأول هؤلاء هو عبدالخالق الذي يقول عنه الشماخي : »كان في المنزلة العليا علما وعملا وورعا وتقى « (1. (

وعبد الحميد الفزاني الذي قال عنه الوسياني " عالم كبير من علماء أهل الدعوة " (2)

وفي الرسالة المجهولة المؤلف التي تذكر أسماء بعض شيوخ الوهبية نجد إسم أبي إسحاق إبراهيم بن زناد " (زياد ؟) الفزاني (3) ، ولا نجد له ذكرا في كتب "السير". ثم انفرد الشماخي بإيراد بقية القائمة في سيره " ؛ ومصدره فيما يظهر هو هذه الأجوبة التي ننشرها اليوم فهو لم يخرج عما ورد فيها من أسماء.

قال: " ومن مشائخنا بفزان عبد القهار بن خلف رحمه الله، وكان عالما ورعا مفتيا " (4)

ثم أورد جل جوابه الذي يذكر فيه أمر عودته عن فتياه في مسألة زواج الإبن بربيبة أبيه

(5.)

ثم ذكر بعده وريون بالحسن بالمعجمة (وزيون) قال "وكان قائما هو وإبراهيم بن أسدين

أظن بفزان من أهل الدعوة " (6. (

ثم ذكر إدريس الفزاني، واورد إشارة جناو بن فتى الى كتبه عند دعوته لعبد القهار

للقراءة عليه (7) . وذكر معهم أبا الحسن جناو بن فتى – ولا وجه لذكره بين علماء

فزان، فهو كما سترى من المغرب الأوسط من قبيلة مديونه، وموطنه هو موطن هذه

القبيلة – وآخر من ذكرهم من المشائخ الشيخ بكار بن محمد الفزاني قال : وأطلعت له

على مسائل نقلت من كتابه (8. (

---

(1)الشماخي: السير: 221.

(2)الوسياني: السير:4

(3)الشماخي: السير، الملحق رقم2 ص590

(4)الشماخي: السير: 190

(5)السابق: 190-191ن وانظر هذ الأجوبة: الجواب رقم 5

(6)الشماخي: السير: ص191

(7)الشماخي: السير: 191، 192

(8)المصدر السابق: 192

وواضح أن الشماخي في أصل مادته عن هؤلاء الأشياخ، كان يعتمد على مادة تماثل

محتويات هذه الأجوبة التي ننشرها اليوم. وهكذا فإننا نجد أنفسنا محدودين في حدود

المعلومات التي تقدمها لنا هذه الرجالات والمواقع، وما يرد فيها من الأحداث والوقائع، ولا نستطيع أن نعتمد فيما وراءها على أي شيء من المصادر المتوفرة لدينا.

وفي إطار هذه الحقيقة سنحاول أن نقدم هنا فكرة عن شخصيات هذه الأجوبة في إطار ما تقدمه هذه الأجوبة من معلومات:

وهذه الأجوبة تتكون كما سبقت الإشارة من مجموعتين متداخلتين كتبهما علمان متعاصران هما جناو بن فتى، وعبدالقهار بن خلف موجهة إلى مجموعة من الأشخاص ردا على أسئلة محددة وردت منهم.

والكاتبان وإن جمعتهما هذه الأجوبة في صعيد واحد، إلا أنهما من مكانين متباعدين، نجد الإشارة إلى هذه في إعتذار جناو بن فتى في كتابه إلى عبدالقهار بن خلف عن التقصير في رد جوابه في قوله :"مع أنه تباعدت بنا وبك الدور، وتفرقت بنا وبك

الأوطان، فلا يمكن وصول الكتاب أو الجواب إلا بعد أشهر" (1) . ورغم معاصرة الكاتبين بعضهما للآخر جناو بن فتى فيما يظهر أسن من عبدالقهار، وغالب الظن أنه أستاذه قد تتلمذ عليه في فترة سابقة، فهو هنا في جوابه إليه بدعوة إلى الحضور إليه وإحداث العهد به للتعلم والإستفادة: " أننا شديد الشوق إلى قدومك وإحداث العهد بك لعلك تستفيد من كتب أبي عبيدة رحمه الله" (2) وأبو عبيدة المشار إليه هنا هو أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي البصري من علماء القرن الثاني للهجرة، من التابعي وإمام الإباضية بالبصرة بعد جابر بن زيد، وهو الذي تلقى عنه " حملة العلم " من المغرب وغيره ولا يستبعد أن يكون جناو بن فتى من تلاميذه المباشرين الذين رحلوا إلى البصرة وتلقوا عليه العلم. والذي يؤكد أن الإشارة هنا إلى أبي عبيدة مسلم وليس إلى غيره هو ما أردف به جناو فتى عباراته بقوله: فإني أرجو أن تمكن اليوم إن شاء الله لعل الله يحي بك هذه الدعوة فتحي لهم أثار سلفهم المهتدين (3) ، وما تكون أثار هذا

السلف غير كتب أبى عبيدة مسلم وما حفظه عن جابر بن زيد وأساتذته من الصحابة رضوان الله عليهم ودونه في تلك الكتب ؟!

ويذكر جناو عن نفسه أنه في آخر مدته وأنه قد تقدم به العمر، وهو يقول في نفس الكتاب :" وأنا أحب تعجيل ذلك منك، يعني قدومه عليه لأني على آخر أيامي واقتراب أجلي وفناء مدتي وورودي على ما كنت أصدر عنه" (4. (

---

(1)الجواب رقم 2

(2)الجواب رقم 2

(3)الجواب رقم 2

(4)الجواب رقم 2

ثم يصف نفسه في موضع آخر بالبدوية والبلوهة – وذلك من باب تواضع العلماء –

فان في أجوبته – كما ترى – علم عزيز وفكر منير ولغة عالية، وبيان رصين – إلا أن

هذا النص على "بدويته يكشف لنا عن جانب من حياة الرجل التي كانت – على طبيعة

حياة البادية حياة منتجعات متنقلة متصلة الترحال، وليست حياة الحاضرة المستقرة

الثابتة.

(1/15)

ونسبة هذا الشيخ في قبيلة "مديونة" البربرية. ونص على إسمه بهذا وضوح فهو جناو بن

فتى المديوني. وهذه القبيلة فرع من زناته، وهم من شعوب البربر البتر، لقد أورد إبن

خلدون نسب هذه القبيلة على الصورة التالية : مديونة إبن فاتن بن تمصيت بن ضري

بن زحيك بن مادغيس الأبتر (1) . وذكر إبن خلدون أن ديار هذه القبيلة " المغرب

الأوسط " (2) وفي موضع آخر قال : "وكانت مواطن مديونة من قبائل البربر قبلة

تاسالة (3) وفي موضع آخر يذكر أنهم أخوة بني واسين، وقال : وربما يشهد بذلك جوار موطنهم .... ما بين صا وملوية" (4) فالمواطن الأصلية لهذه القبيلة كما يحددها إبن خلدون هي قبلة تاسالة ما بين وادي صا (زا) وملوية في المغرب الأوسط. وفي نطاق هذه الرقعة الواسعة من البلاد لا نستطيع أن نشير إلى المقر المحدد، أو إلى الموطن الذي كان يعيش فيه جناو بن فتى الدماء لذهاب العلماء" (5) ، وقال أيضا :" وأما أهل زماننا يقاتلون المفسدين بمن هو شر منهم وأكثر فسادا في الأرض وتنهب الأموال وتحرق المنازل وكلاهما مفسدون ولا يكزن بعض المفسدين أحب إلى الله من بعض" (6) وقال في موضع آخر المسلمون اليوم في كتمان، وإنما يجوز الدفع لما لم يجدوا من دفعه بدا مثل نار أقبلت عليهم إن لم يطفوها عن أنفسهم هلكوا (7) وقال :" وأهل هذا الزمان لا ينبغي الخروج معهم إلا أن يكون خروجهم إلى جراد أو سمك فلا بأس أن تخرج معهم، وأما غير ذلك من خروج بعضهم إلى بعض فاحذر، واهرب من الناس كهروبك من السبع" (8. (

ثم أضاف بعد ذلك :" ونفير أهل التوحيد إلى أهل التوحيد بأسباب تكون بينهم فاحذر ثم احذر.....

---

(1)إبن خلدون: التاريخ: 6: 475،

(2)إبن خلدون: التاريخ: 6: 203

(3)إبن خلدون: التاريخ: 7: 350

(4)إبن خلدون: التاريخ: 7: 343

(5)الجواب رقم 3، السؤال رقم 8

(6)الجواب رقم 3، السؤال رقم 8

(7)الجواب رقم 4 ، السؤال رقم 4

(8)الجواب رقم 4 ، السؤال رقم 6

فإنكم أن تتركوا دما حلالا خير من أن تفسكوا دما حراما وتكثروا سواد من سفكها" (1. (

والشكوى من إضطراب الزمان وفساد الناس ورقة الدين، وتفضيل العزلة عن هذا المجتمع

وتجنب أهله والإشتغال بالنفس كل هذه المعاني التي رأيناها فيما تقدم من أقوال أبي الحسن جناو بن فتى نجدها كذلك لدى زميله وتلميذه عبدالقهار بن خلف. فهو يقول فيما كتب له إلى يوسف وريون بن الحسن ردا على كتاب طلب إليه فيه أن يكون له عينا على قاضي شباهة (سبها) : " واعلم أني في معزل من هذا وذلك لما أراه من عنايتي بما في بيتي واشتغالي به، ولقد أقيم ما شاء الله وأنا غير عارف بما الناس فيه من الأمور إن شاء الله، ولو أن عندي ما يصلحني في عيالي لطبعت على بابي ثم لم أخرج على بشر ولم يدخل علي حتى ألحق بالله، إلا ما شاء الله من ذلك" (2) . ويقول في موضع آخر بعد هذا : وينبغي للعاقل أن يكون بصيرا بأهل زمانه مقبلا على شأنه" (3)

. ثم يختم رسالته بهذا الدعاء " وأسأل الله أن يجعل غنائي في نفسي ويرزقني لزوم ما ينفعني والعمل به. وترك ما لا يعنيني واجتنابه فإن ذلك عليه يسير " (4. (

---

(1)الجواب رقم 4 ، السؤال رقم 6

(2)الجواب رقم 6

(3)الجواب رقم 6

(4)الجواب رقم 6

(1/17)

ويجرنا هذا الحديث إلى الكلام على عبدالقهار بن خلف، وكل ما يمكن أن نستخلصه عنه هنا أنه من العلماء النابهين الذين يتمتعون بمكانة مرموقة بين أقرانهم علما وعملا. وهو فيما يظهر من مواطنى مدينة (سبها) والتي وردت الاشارة اليها أكثر من

مرة في أجوبته–وظاهر الأمر أنه بربري الأصل، نستظهر لذلك بما ورد في رسالته من أسماء، فهو يذكر عمته أخت أبيه باسم أميمة بنت الحباب، واسم أبيه خلف، وهذه أسماء عربية صحيحة لا تشوبها عجمة، وهي خاصة تميزها عن بقية الأسماء التي وردت في هذه الأجوبة، والتي تلتقي جميعا في عجمة بعضها مثل وريون (وزيون) وجناو، وأسدين، ومصطار وعبيدس وعبدوس، ونحن لا نستبعد فرضية عربية عبدالقهار فهناك إشارة صريحة في كتب الرحلات المتقدمة أن بعض مناطق فزان مثل ودان وزويلة وغيرها كان يقطنها قبائل شتى من حضرميين وسهميين ووافدين من الكوفة والبصرة وخراسان (1) . ونحن نرجح أن يكون عبدالقهار من هذه الأسرة التي تنتمي في أصلها القديم إلى بعض القبائل العربية التي وفدت مع جند الفتح في زحفهم المبكر إلى هذه الديار...

ويبدو أن عبدالقهار كان يرتبط بصلة وثيقة بالشيخ جناو بن فتى والظاهر أن جناو كان أستاذا لعبدالقهار، وكان يعقد عليه آمالا كبيرة في أن يحيي لقومه آثار سلفهم المهتدين ويكون لهم منارا (2. (

وهو معنى يؤكده مرة أخرى عندما يقول له في جوابه : " فوددت لقياك للمناظرة والمذاكرة والتفقه في الكتاب والسنة مع ما يرجى في المشاورة من عزم الله لهم لأهل المشاورة في الدين من إرشادهم في أمورهم" (3) . وهذا المعنى يؤكده أيضا مضمون رسالة إلى أبي الحسن وريون إلى عبدالقهار، حيث يطلب إليه أن يأخذ بحضه من الإسلام وإلا يستغني عن أموره، ويطلب إليه أن يكون له عينا على قاضي شباهة (سبها) وأن ما رأى منه من خير أو شر أعلمه بذلك (4. (

---

(2)الجواب رقم 2

(3)الجواب رقم 2

(4)الجواب رقم 6

(1/18)

ويظهر أن الرجل كان متقدما في العمر وكان شديد الزهد، معرضا عن الدنيا غير مقبل عليها منصرفا إلى آخرته وما عناه من أمر نفسه وعياله – ونقرأه يستشهد لضعفه بهذه الأبيات : (1(

أَصْبَحْتُ لاَ أَحْمِلُ السلاَحَ وَلاَ أَمْلِكُ رَأْسَ البَعِيرِ إِنْ نَفِرَا.......

وَالذئْبُ أَخْشَاهُ إِنْ مَرَرْتُ بِهِ وَحْدِي وَأَخْشَى الريَاحَ وَالمَطَرَا...

وهو رغم إعراضه عن المساهمة الفعالة في أمور الناس وشؤونهم العامة إلا أنه لا يدخر خالص النصيحة عن سائله، يبلغ له في الموعظة والتحذير :"أوصيك ونفسي بتقوى الله العظيم، والعمل لما أنت صائر إليه عن قليل ...." ثم يختتم رسالته إليه بقوله :"ويقال : شر النسك نسك العجم، فاحذر على نفسك، والبربر من العجم " (2. (

وننتقل إلى الحديث عن أبي يوسف وريون بن الحسن، وهو مدار هذه الأجوبة ومحمر هذه المكاتبات، يكاتب هؤلاء الأشياخ ويسألهم الرأي والفتوى فيما يحدث عليه من نوازل ويحل به من مشاكل، ويكتبون إليه بالأحكام والنصائح والمواعظ....

والذي تعرفه عن وريون أقل مما نعرفه عن غيره من أشخاص هذه الأجوبة، وهو عند الشماخي وزيون بالزاي المعجمة (3) ، وقد يكون هذا من تصحيف النساخ، ولا يفيدنا الشماخي بأكثر مما عندنا في هذه المخطوطة عن هذا الشيخ. فهو عند حديثه عن عبدالقهار يقول :"وكان كثير النصح لوزيون بن الحسن وكان قائما هو وإبراهيم بن أسدين أظن بفزان من أهل الدعوة والله أعلم " (4. (

---

(1)الجواب رقم 6

(2)الجواب رقم 6

(3)الشماخي: السير: 191

(4)الشماخي: السير: 191

(1/19)

ولا شك أن الشماخي قد إستقى معلوماته هذه من الجواب رقم "5" الذي يذكر فيه عبدالقهار خبر هزيمة وريون عن تراغن وإنسحابه إلى سبها أو شباهة كما يسميها وهذا سياق القصة كما يوردها عبدالقهار، ".....أنه لما جاء الخبر بالليل أن عساكر وريون وغيره قد انهزمت من تراغن جائني الخبير بذلك، وهو عبد الله بن عبيدس الشباهي وكان لي صديقا مصافيا وخليلا مواتيا، فأيقظني من نومتي وأنا مريض بمرضي، وقد كنت مريضا قبل ذلك أربعة أيام، فذكر لي الخبير أن العساكر قد انهزمت وأن وريون وإبراهيم بن أسدين قد جاء كلاهما مهزومين وقد نزلا في بيت أبي الرؤوس. فقلت أكذلك الخبر ؟ قال : نعم. فقمت مبادرا واتكأت على رمحي فدخلت الدار التي فيها وريون وإبراهيم فوقفت عليهما وأخذت منهما تصحيح الخبر ....." (1. (

فهذا النص يذكر بوضوح أن وريون هو قائد هذه العساكر فهي عساكر وريون. ويذكر أيضا إبراهيم بن أسدين من كتب التاريخ والسير ذكرا لهذه المعركة، ومن ثم فنحن لا نعرف شيئا عن الطرف المنتصر ولا عما آل إليه أمر وريون وإبراهيم بعد هذه المعركة.

ولكننا نجد في الخطاب الآخر الذي وجهه عبد القادر إلى أبي يوسف وريون إشارة إلى قيامه على أمور الحكم ومراقبة القضاة وتعيينهم فهو يقول :" أعلم أن كتابك وصل إلي تذكر فيه أن أكون لك عينا على قاضي شباهة، وأن ما رأيت منه من خير أو شر أعلمتك بذلك في سر. وقلت : وخذ بحضك من الإسلام ولا تستغني عن أموره " (2. (

ولا تعرف عن هذا الكتاب هل كان قبل تلك الهزيمة أو بعدها إلا أن هذا النص يكشف عن مكانة وريون التي تصوره في مركز المسؤولية، يطلب من هذا الشيخ أن يوافيه بما يقيم به سيرة قاضي

---

(1)الجواب رقم 5

(2)الجواب رقم 6

(1/20)

"سبها " (شباهة) ويطلب إليه كذلك أن يأخذ بحضه من الإسلام – ونفهم من هذا أنه يطلب إليه المشاركة في تحمل أعباء الأمة ومسؤولياتها، وهذا ما جعل الشماخي يقدر أنه كان قائما بالأمر في فزان (1. (

وهناك العديد من الإشارات في أجوبة جناو بن فتى التي نستطيع أن نستنتج منها أن وريون كان على مكانة هامة من المسؤولية، فهو يوصي بالقيام لله بقسطه وعدله في بلاده وعباده، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإغاثة الملهوف والقيام للمظلوم (2 (

.

وفي ثمانية أسئلة (3) من الجواب رقم "3" في هذه المجموعة نجد السؤال يدور على مسائل تتصل بالسلطان وعلاقته برعيته وفي إثنين منها يشير وريون إلى نفسه صراحة.

ففي السؤال رقم (8) يقول :" وعن قوم سفاكين الدماء الحرام والأموال الحرام، فإذا انتهكوا ما حرم الله من ذلك هربوا إلى موضع لا يقدر عليه ويبقى من إخوانهم معنا لأنهم آمنون من سطوتنا فإذا أردنا القيام إلى القوم المفسدين خرجوا من غير علم منا إلى إخوانهم فيخبروهم بخروجنا إليهم فيبتعدوا ويدخلوا الوعر، فما ترى لنا ؟ الخ. ".....

وفي السؤال رقم (13) يسأل وريون الشيخ جناو بن فتى :" وما تقول – رحمك الله – في قوم من أهل الدعوة ولي عليهم الجبابرة وهم الحاكمون عليهم بما لا يخفي عليك من الجور وما لا تستطاع له صفة، هل ترى لسلطان المسلمين أن ينهض إلى أولئك الجبابرة ليزيلهم عنهم ويحول بينهم، أو يولي على أهل الدعوة ذلك إلى سلطان المسلمين أو لم يطلبوه ؟ .... " فهو هنا يسأل عن واجب سلطان المسلمين تجاه أهل الدعوة ممن وقعوا تحت سطوة الجبابرة، وهو وأن لم يشر إلى نفسه صراحة إلا أن جواب الشيخ جناو إليه يكشف عن أن المعني هو وريون نفسه. قال في جوابه :" أحب إلينا في ذلك السلامة لدينك، فإن السلامة لا يعدلها شيء .... الخ. "

(1)الشماخي: السير: 191

(2)الأسئلة رقم 5 إلى 10، 13، 14

(3)الأسئلة رقم 5 إلى 10، 13، 14

(1/21)

وهذه نصوص يساند بعضها بعضا في تأكيد ما ذهب إليه الشماخي – رحمه الله – من أن وريون "كان قائما بالأمر في فزان من أهل الدعوة .... " (1. (

ونختتم هذه الجولة بالكلام عن أبي بكر عتيق بن أسدين – وهو صاحب أسئلة الجواب رقم : (4). وهذا الجواب، على غير ما عليه الأمر في بقية الأجوبة، لا مقدمة له، والراجح أن الناسخ قد أسقطها، واكتفى بالأسئلة وردودها. وهكذا فقد فقدنا مادة كان يمكن أن تعطينا فكرة عن شخصية السائل ولو محدودة.

وترد الإشارة في جوابات عبدالقهار بن خلف إلى شخص آخر باسم إبراهيم بن أسدين – رفيق وريون – ولا ندري هل تربطه صلة نسب مع أبي بكر عتيق بن أسدين ولعلهم أن يكونا أخوين....

الخلاصة أننا لا نعرف عن أبي بكر هذا شيئا غير ما يمكن أن نستخلصه من طبيعة أسئلته. هي بين أن تكون أسئلة خاصة عن نوازل عرضت له شخصيا فعندئذ يمكن القطع به بحال. وأما أن يكون قاضيا أو فقيها مفتيا لجأ فيما استعصى عليه من مسائل – كما هي العادة –إلى من هو أعلم منه، وهو جناو بن فتى، ويستوضحه ويستفتيه. وفي كلا الحالتين فإن شخصية السائل ذات بال وخطر فيما يبدو من تلك ألأسئلة.

بقيت مسألة أخرى، وهي أسماء بعض المواضع التي وردت الإشارة إليها في هذه الأجوبة ونعنى بها هنا "شباهة"، و"زريعة"،و"تراغن."

أما "تراغن" فقد وردت الإشارة إليها عند ذكر هزيمة عساكر وريون (2) وقد وردت خالية عن الأعجام عدا حرف النون هكذا : (تراعن) وواضح أنها بلدة الحالية وتقع هذه البلدة جنوب مدينة " سبها" على بعد مئة وعشرين كيلومترا تقريبا.

---

(1)الشماخي: السير: 191

(2)الجواب رقم 5 ولمزيد من المعلومات عن بلدة تراغن أنظر: د.عبدالعزيز طريح شرف:جغرافية ليبيا، ط.1963 صفحات 560-961

(1/22)

أما " رزيعة "، وهي التي يذكرها عبدالقهار بن خلف عند الكلام على رحيله عن "سبها" والإنتقال إليها بعد هزيمة وريون (1) ، فليس لدينا فيما بين يدينا من المصادر ما يعيننا

على تحديد موقعها، وقد تكون عن ضواحي سبها أو بعض القلاع الحصينة المجاورة لها.

أما " شبهاهة" فقد وردت الإشارة إليها في أكثر من موضع في أجوبة عبدالقهار بن خلف (2) ، وأورد النسبة إليها هكذا: "الشباهي" (3) ونحن نرجح أن يكون " شباهة " هو الإسم الذي تطور عنه إسم " سبها " الحالي، وبعض أهل الجنوب لا يزال ينطقها معجمة حتى اليوم فيقال "شبها" بالشين المعجمة بدلا من السين (4) . ولا ندري متى بدأ ظهور إسم "سبها" ولعل الإسمين سارا معا منذ البداية، وبقيا كذلك تصرفهما الألسن على ما يوافقها من نطق حرف السين معجما أو مهملا ... ونجد إسم " سبها " يرد برسمه الحالي " سبها " في بعض النصوص الإباضية القديمة، وبالتحديد عند أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني (المتوفى سنة : 570 هـ) فى قصيدته " الحجازية " التى يصف فيها رحلته إلى الديار المقدسة لتأدية فريضة الحج. قال أبو يعقوب يصف طريقة لدى مروره بفزان متجها إلى الحجاز (5: (

(33)جزى الله عنا "جرمة" وبلادها ... ... و"فزان" خيرا شاكرا غير كافر

(34)هم أوسعنا ما استطاعو بخيرهم ... ... وعافية جلت ومن تمر تامر

(35)وكانت" تبستو" منزلا نزلت به ... وراحت إلى "سبها" (6) و" سمنو"و "فاطر"

(36)وجازت على "زرديج" وهي مشيحة ... ... إلى "منزل العباد" ذات الفطائر

)

---

(1)الجواب رقم 5

(2)الجواب رقم 5، 6

(3)الجواب رقم 5

(4)استفدت هذه الملاحظة من الزميل حبيب وداعة الحسناوي

(5)من نسخة مخطوطة للقصيدة ضمن مجموع بامكتبة البارونية-بالحشان بجربة..

وتوجد نسخ أخرى في جربه ووادي ميزاب

(6)ورد رسمها في المخطوطة بألف مقصورة هكذا "سبهى"

(1/23)

(37وقد هرج "الهاروج " فيها سمانها ... ... ومرمرها "زرديج" كل المرامر (38) فلما

أنخناها إلى "قصر زلة" ... ... أنحنا إلى قوم همام مغاور.

إلى أخر الأبيات ...وهي قصيدة طويلة على جانب من الأهمية قد نفرغ لدراستها

وتحقيقها إذا يسر الله تعالى السبيل لذلك.....ولم يذكر أبو يعقوب "سبها" سوى هذه

المرة, ويظهر أن طريق عودته لم يكن عليها إذ أنه لم يذكرها ضمن المواضع التي مر

عليها في عودته.....

وصف المخطوطة:

...يقع نص هذه "الأجوبة" ضمن "مجموع" حفظته الخزانة البارونية بالحشان-جربه.

وقد تفضل صاحبها الأستاذ يوسف محمد الباروني فأعارها لي ضمن مخطوطات أخرى, وقد استخرجت نسخة مصورة عنها. ولا يفوتني هنا أن أعبرعن كامل الشكر لهذا الأخ الكريم لحسن محافظته على هذه المجموعة القيمة من المخطوطات, ثم لحسن تعاونه مع الباحثين والمهتمين بالدراسات الإباضية وما هيأه من وسائل تيسر ذلك.

ويحتوي هذا "المجموع" على عدد من النصوص الإباضية الهامة منها أجوبة الإمام جابر بن زيد, من كبار التابعين (توفي سنة 93هـ/711م) وأجوبة منسوبة للإمامين عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم, (توفي سنة 190هـ/805م), وابنه أفلح بن عبد الوهاب (توفي سنة 24 هـ/854م).وقد وصفت محتويات هذه النصوص في مقالة نشرت سنة 1970م. (1(

وتمثل" أجوبة علماء فزان" النص الثاني في هذا المجموع ,وتأتي بعد إنتهاء جوابات جابر بن زيد مباشرة. وتقع في (28)صفحة ومسطرتها 25-26 سطرا للصفحة,

ومقاسها 15×21سم. أما خطها فمغربي قديم, ولا نعرف الناسخ ولا تاريخ النسخة. ويبدأ

نص الأجوبة بالسطرالسادس في الصفحة التي تنتهي فيها أجوبة جابر, وقد جاء ترتيب

العنوان هكذا:

بسم الله الرحمان الرحيم. صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

جوابات جناو بن فتى المديوني

إلى بعض أهل فزان

---

(1)أنظر

ثم يبدأ الجواب الأول ... وقد كتب العنوان بحبر أحمر, وكذلك بدايات الأجوبة, وميزت

بدايات الأجوبة الأسئلة والردود عليها بحبرأحمر على أول كل كلمة, وكتبت تلك الكلمات

أحيانا بخط عريض ليميزها عن بقية المخطوطة.... وتنتهي هذه الأجوبة بنهاية الجواب السادس:"ويقال : شر النسك نسك العجم فاحذر على نفسك. والبربر من العجم". وتأتي بعد ذلك مباشرة وفي نفس الصفحة النصوص المنقولة من " كتاب بكار بن محمد الفزاني."

ولم أعتمد ترتيب الصفحات الذي وجدته على هذا المجموع لاضطرابه وتعدده – ورقمت كل نص من أول بدايته إلى نهايته على الصفحات وتظهر في هذا النص المحقق, على يسار النص بالحاشية...

وكتب:

عمرو خليفة النامي

آن آربر : 5 جمادى الأول 1396هـ.

4مايو 1976م.

بسم الله الرحمان الرحيم .صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم جوابات

جناو بن فتى المديوني

إلى بعض أهل فزان

"?"

لأبي يوسف وريون بن الحسن من عبد القهار بن خلف. سلام عليك.

فأنى أحمد الله الذي لا إله إلا هو.

.

...أما بعد أوصيك ونفسي بتقوى الله العظيم الذي يجازي بالطاعة والمعصية ولا يظلم

أحدا. يقول في كتابه :{ ومَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُومِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا

هَضْمًا } إلى قوله : { وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنْ الوَعِيدِ }، يقول من عمل كذا فله كذا، { لَعَلَّهُمْ

يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا } (1) . { فَمَنْ يُرِدْ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ } (2) فإن النور إذا دخل القلب انفسح وانشرح، ولذلك علامة وهو التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والإستعداد للموت قبل نزوله. { وَمَنْ يُرِدِ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرِجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ } (3) الآية. واعلم أن المتقين يعرفون [بها] (4) ، ولغيرهم كذلك.

قال جابر بن زيد رحمه الله :قلوب المؤمنين تغلى بالإيمان وقلوب المنافقين تغلي بالنفاق. وقال جابر أيضا :يعرف إيمان الناس في أعمالهم. فأسأل الله أن يزينا بالعلم ويكرمنا بالحلم ويجمعنا بالعافية ولا يجعل لأحد من الظالمين علينا سبيلا إنه منان كريم.

---

(1)سورة طه : 112-113

(2)سورة الأنعام :125

(3)سورة الأنعام :125

(4)زيادة ليستقيم بها الكلام

(1/26)

ثم إن كتبها وردت علي [من قبل] (1) أبي الحسن جناو بن فتى المريوني حفظه [الله] (2) جواب فيها إليك وإلى غيرك كان قدم بها الحامل فنسيها في متاعه ومضى بها إلى مصر فردت من مصر إلى زويلة ودفعت إلى رجل ودفعها إلى رجل من بني جلدين فقال له وصلها إلى عبد القهار فوصلها إلي فنظرت في عنوانها [وفرزت] (3) لكل كتابه فنشرت كتابي فقرأته فوجدت فيه أن أنظر فيها إن رأيت ذلك، فنشرتها وقرأتها /وعلمت الذي كتب به إلى كل ذي جواب فرأيت [أن أبعث إليك] (4) بكتابه إلي

وتنظر فيه ثم ترده على عجل إن شاء الله. والسلام عليك ورحمة الله.

"?"

بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على محمد

لأبي سفيان عبد القهار بن خلف، من جناو بن فتى ؛

---

(1)بياض في الأصل وأضفت هذه الزيادة ليستقيم بها الكلام

(2)زيادة ليستقيم بها الكلام

(3)بياض في الأصل وهذا ما اقترحته ليستقيم الكلام

(4)بياض في الأصل وقد أضفت هذه الزيادة ليستقيم بها الكلام

سلام عليك ورحمة الله وبركاته. أوصيك ونفسي بتقوى الله العظيم فإن في تقوى الله النجاة من شر يتقى. وعليك بتلاوة القرآن والتفقه [فيه] (1) وتدبره فإنه حياة القلوب من العمى والقسوة والران (2) ..يقول الله تبارك وتعالى : { بَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً

وَشِفَاءً لِمَا فِي الصُدَورِ} (3) . فليس للقلوب ولا لضيق الصدور دواء إلا في القرآن، به

تلين القلوب وتنشرح الصدور وتنجلي الغموة والران والظلمة عن القلوب. قال الله تعالى

في الذين آمنوا إذا يتلى عليهم : {َ قْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ

وَقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللهِ } (4) وقد نعتهم بمثل هذا في غير آي من القرآن مثل قوله: { إِذَا

يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ } الآية (5) ، ومثل قوله : { إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ

إِيمَانًا } (6) . ولكنه كما قال : { لِتُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا } (7) يعني حي (8) القلوب.

.كقوله : { أَوَمَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا } (9) . وهو للقلوب (10) كالمطر

للأرض، فالمطر يصيب الأرض وهي بقاع شتى، فالبقعة الطيبة يخرج نباته بإذن ربها

فتحيا بعد موتها، والسبخة لا يزيدها إلا ملوحة. وهي كالماء للأشجار، والشجرة الطيبة

تثمر ويزيدها في الخير (11 (،

---

(1)زيادة ليستقيم بها الكلام

(2)الران : اسم لما يتراكم من الظلام على القلب بسبب ما يرتكبه المرء من الآثام والذنوب وأصله من قول الله تعالى :"كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون" سورة المطففين : 14

(4)سورة الزمر: 23

(5)سورةالإسراء:107

(6)سورة الأنفال: 2

(7)سورة يس:70

(8)كذا في المخطوطة.

(9)سورة الأنعام :122

(10)في المخطوطة : القلوب و يظهر أنه تصحيف.

(11)هذه المخطوطة غير واضحة في الأصل, و ما هنا هو أقرب شيء يدل عليه الرسم..

والحنظل لا يزيده إلا مرارة وريحها خبيث فقال تبارك وتعالى : { وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ } (1) لمن اتبعه، { وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا } (2) لمقت الله إياهم فأضلهم وأعمى أبصارهم عن نوره فلا (3) .....وغاب عنهم نورهم بالأقفال التي على قلوبهم والران والطبع فحال بينهم وبين نوره، كالقمر إذا كان دونه سحاب غاب نوره عن الأبصار. وصارت القلوب في ظلمة دمساء، بل { كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْر لُجِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا } (4) . يقول: إن بصر له الحق لم يبصره للأمواج التي تراكمت على قلبه في جوف مظلم مع الغمرة والران والطبع فتراكم ذلك ركما فلا يصل إلى بصره/ إلى نور القرآن. وقلب المؤمن أبيض أزهر نير : { كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ

وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ، نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ للنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (5) . فالقلب في غلاف أبيض وشبَّه نوره بالكوكب الدري.

---

(1)سورة الإسراء:82

(2)سورة الإسراء:82

(3)هنا بياض يتسع لكلمة واحدة، لعلها يرونه، أو يبصرونه أو ما في معناها.

(4)سورة النور:40

(5)سورة النور:35

(1/29)

فالآن –رحمك الله– تفكر في عجائبه وأمثاله يسطع في قلبك نوره وتدخل حلاوته قلبك فيكشف لك الغطاء عن أمور الأخرة فتعاين باليقين كرامتها، لأن القرآن كرامة لمن تدبر

آياته وتفكر فيها، فإن الفكرة نور ومرآة للقلوب يميز بها الرشد من الغي والمنافع من المضار، ولا يوجد ذلك إلا بالتقوى، والتقوى إنما هي في أداء الفرائض واجتناب المحارم وتركها خوفا من المقام بين يدي الله تعالى وقمع الهوى خوفا من الله ورغبة فيما عنده.

وذكرت–يرحمك الله –أتاني منك غير كتاب فلم تر جوابها، فما أبرئ نفسي من التقصير في ذلك. فإنه يقال : رد الجواب حق على المؤمن كرد السلام. وما أعلم أنه وصل إلي كتاب قبل هذا إلا واحد ولم يمكني الجواب من أوجه حتى ضاعت وسقطت ولم أجد لها مسقطا ولا ملقطا. مع أنه تباعدت بنا وبك الدور، وتفرقت بنا وبك الأوطان فلا يمكن وصول الكتاب أو الجواب إلا بعد أشهر.

واعلم –يرحمنا الله وإياك –أني شديد الشوق إلى قدومك وإحداث العهد بك لعلك تستفيد من كتب أبي عبيدة رحمه الله، فإني أرجو أن تمكن اليوم إن شاء الله لعل الله يحي بك أهل هذه الدعوة فتحي لهم آثار سلفهم المهتدين، وتكون لهم منارا، فإن فضل العلم ما قد

بلغنا أن خطوة من خطوات طالبه تعدل عبادة ألف سنة قيامها وصيامها وحفته الملائكة بأجنحتها وصلى عليه طير السماء وحيتان البحر ودواب الأرض.

(1/30)

وأنا أحب تعجيل ذلك مني لأني على آخر أيامي واقتراب أجلي وفناء مدتي وورودي على ما كنت أصدر عنه. فوددت لقياك للمناظرة والمذاكرة والتفقه في الكتاب والسنة مع ما يرجى المشاورة من عزم الله لهم لأهل المشاورة في الدين من إرشادهم في أمورهم. فإن قدر لك الله النهوض إلى ما قبلنا فليكن معك ما سننظر فيه من كتب أخينا إدريس أكرمه الله تعالى وأعانه ووفقه بالتوبة والإزدياد مما طلب، وجعل ذلك له في الله وله. وقد رددت/ جواب كتابه وغيره على قصر علمي، وذلك لا ينبغي لمن علم من نفسه مثل الذي علمت من جفوة البدو مع قلة العلم. ولم أجعلهم في حل من فتوى ما كتبت به

إليهم إلا ما وافق كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام فإن رأيت تطلع ذلك وتسقط منه ما أرابك فافعل. والسلام عليك ورحمة الله.

"?"

بسم الله الرحمان الرحيم

لأبي يوسف وريون بن الحسن، من جناو بن فتى...

عافانا الله وإياك من السوء برحمته، ونوصيك ونفسي بتقوى الله العظيم، والقيام لله بقسطه وعدله في بلاده وعباده والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإغاثة الملهوف والقيام للمظلوم، فإن لله صلحاء وحفظة يزينون أمره ويعينون طالبه، فمن كان الحق هواه وضمير قلبه كان الله وليه وناصره، فإنه يقال :خير المؤمنين للمؤمنين أنفعهم للمؤمنين.

أتاني كتابك وفهمت ما سألت عنه. بعض ما سألت عن الأحكام، فاعلم –يرحمنا الله وإياك– أن علمي يقصر عن ذلك مع بدويتي وبلوهتي وكرهت أن أمسك عنك الجواب لمكانك مني مع ما يجب على المسلمين من معاونة الحق وأهله والقائمين به.

(1/31)

واعلم أن من تقلد الحكم بين الناس فهو بين أمرين، إن أصاب فيه الحق فبالحرا أن ينجو، وإن خطأ أخطأ طريق الجنة. ومن يكن في الدنيا ذليلا وضعيفا خمولا كان أهون عليه في المعاد من أن يكون حكما شريفا (1) ، ومن إختار الدنيا يخسر كليهما. وهذا زمان الخاصة، ينبغي للرجل أن ينكر من يعرف ولا يتعرف إلى من يعرف. فإني أجبتك في بعض مسائلك بجهدي ومبلغ علمي فإن يكن صواب فمن الله ورسوله، ولله المنة. وإن يكن خطأ فمني، والله ورسوله منه أبرياء. ولا ينجيك من الله إلا الحكم بما أنزل الله فإنه قال: { وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ } (2) و { الظَّالِمُونَ } (3)

و{ الفَاسِقُونَ } (4) . وهذه الآية لم تنقطع من لدن آدم إلى يوم القيامة وهي في كلامه، ألا تراه يقول : { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهِ النَّبِيئُونَ } (5) إلى قوله : { وَلِيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ الله } (6) . ثم قال لنبينامحمد صلى الله عليه وسلم : { وَأَنِ أُحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله } الآية (7) /فلم يكن الحكم إلى آراء الرجال، وقد أغناهم بما أنزل عن آراء الرجال. اللهم سلمني وسلم مني.

(

---

(1)هكذا في المخطوطة ولعله : حاكما

(2)سورة المائدة:44

(3)سورة المائدة:45

(4)سورة المائدة:47

(5)سورة المائدة:44

(6)سورة المائدة:47

(7)سورة المائدة:49

(1/32)

(1سألت عن رجل تزوج صبية لم تبلغ وتزوج عليها إمرأة فطلب أبو الصبية أن يأخذ صداقها من زوجها، وادعى أنه دخل عليها. فأنكر الزوج الدخول. فأثبت البينة أنه أقر بالدخول عليها ومعها خادم لها، وأثبت أيضا البينة أنه رئي دخل باب الدار وأغلق عليه وهي دار أبويه ولم يعاينوا الصبية معه. وقال الزوج : للدار أبواب شتى فعلى أيها أغلقت بابا على إبنتك، وأرخيت عليها سترا؟ فأما باب الدار فليس بموضع يمكن فيه[الخلوة] (1) أنا وابنتك فكيف الدخول عليها؟! وقلت: كيف بما يوجب على الزوج الصداق كله رحمك الله ؟.

---

(1)زيادة ليستقيم بها الكلام

(1/33)

قال : إذا قامت البينة على إقراره بالدخول عليها فجائز للحاكم أن يحكم عليها بالصداق، لأن الحاكم إنما يحكم على المدعي عليه بأحد ثلاثة أوجه :إما البينة العادلة، أو بالإقرارطائعا غير مكرها أو بالنكول عن اليمين. فإقراره بالدخول تصديق للمدعي بالدخول، وشهادة منه على نفسه. قال الله تعالى: { وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كَافِرِينَ } (1) وذلك لإقرارهم بالضلال. وقال تعالى لقوم : { ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ } (2) . فألزمهم ما قالوا وحكم به عليهم. وأما قولك أن البينة شهدوا أنه أغلق باب الدار، وقول الآخر : للدار عدة أبواب، فإن قامت البينة أنه خلا في بيت أو دار فأغلق بابا أو أرخى سترا أوجب الصداق. وأما إن كان للبيت أو الدار أبواب شتى كلها مداخل مثل المسجد فليس في غلق الباب دون الأبواب ما يحصن الرجل. ألا ترى إلى إمرأة العزيز حين

خلت بمن شغفها حبا لم تأمن على نفسها الداخل والناظر حتى أغلقت الأبواب وقالت، بعد ما أغلقت الأبواب وتحصنت : { هِيتَ لَكْ. قَالَ : مَعَاذَ اللهُ } (3) . وذكر نعيم أهل الجنة فقال : { مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ } (4) . وقال : { وَالمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ } (5) . فإذا قامت البينة أنه خلا بها وغلق الأبواب إن كانت شتى أو أغلق بابا أو أرخى سترا للتي لها باب واحد فقد وجب له الصداق إلا إن قالت : لم يمسني، فإنها تصدق في الذي لها من المهر فإنها تبطله بإقرارها. وقالوا لا تصدق في القديم / الذي عليها من العدة. وإن كانت طفلة فليس إقرارها ولا إنكارها بشيء إلى أن تبلغ.

)

---

(1)سورة الأنعام:30

(2)سورة الأحزاب:4

(3)سورة يوسف:23

(4)سورة ص:50

(5)سورة الرعد:23

(1/34)

(2سألت إن طلب أبو الصبية إلى الزوج أن يعتزل عن جميع ما أنحله لها وتكون عنده حتى تبلغ الصبية أو يأتي ببرهان الدخول عليها. وقال الزوج : إن ابنتك صغيرة لم تبلغ فكيف تحول بيني وبين ما أنحلتها ولم تعلم منها سخطا ولا رضى. أرأيت إن قال أبوها لزوجها صحح ما نحلتها به حتى أعلمه فأنكر الزوج النحلة. فادعى الأب ستة أرؤس (1) فجحد الزوج. فأثبت الأب أن الزوج أصدقها ستة أرؤس بذكر أسمائهم فكلفهم السلطان معرفة الأشخاص فلم يقفوا على ذلك ولكنهم شهدوا على الأسماء وللزوج أيضا تلك الأسماء في رقيقه. وقال الزوج لم أنحل إبنتك هذه الرقيق، ولكن أشتري هذه الأسماء التي شهدت لها بها البينة ثم أدفعها له، كيف القول فيها؟

قال :أما قول الأب اعتزل النحلة تكون عندي. فلا سبيل إلى أخذ الصداق إلا بأحد الوجهين :إما أن يكون دخل بها فوجب صداقها بالمسيس. أو تكون قد بلغت فأجازت النكاح، فقد وجب لها بالرضى والمال بيد الزوج فترضى. وهذه بمنزلة البنت البالغ إذا عقد عليها الولي النكاح فلا سبيل له إلى الصداق حتى يستأمرها، فإذا استأمرها ورضيت صار الحكم في مهرها إليها وزال حكم الولي في المهر. وكذلك إذا كانت طفلة ولم يدخل بها فهي بمنزلة الغائبة ما لم تبلغ، فإذا بلغت إستأمرها في نفسها، فإذا رضيت تمت العقدة ووجب الصداق، فإذا أنكرت إنفسخ النكاح ولم يجب لها الصداق لأن الصداق والنكاح لا يثبتان (2) إلا بعد الرضى. وهذه بمنزلة دين له أجل لا يجوز أخذه إلا بعد حلول الأجل.

---

(1)في المخطوطة: أرأس

(2)في المخطوطة: لا يثبتوا

وأما قولك إن الأب إدعى أن يقر له بالنحلة فأنكر فأقام البينة أنه زوجها بستة أرؤس مسميات. والبينة لا يعرفون الرقيق بأشخاصهم، وهذه المسميات في ملك الزوج حين تزوج. وقال الزوج : أنا أشتري هذه الأسماء. قال :إذا كانت هذه الرقيق المسميات في ملك الزوج يوم أصدقها إياهن فقد وجبن لها. ألا ترى أن الرجل تكون له أربع نسوة فيطلق واحدة منهن بإسمها فأقامت المرأة البينة عليه بذلك أنها طالق وجازت عليه البينة وإن لم تعرفها بشخصها. أولا ترى أنه لو كان له عبيد فقال أعتقت / فلانا، سماه باسمه، فأقام العبد البينة بذلك أنه يعتق بشهادتهم وإن لم يعرفوه بشخصه إلا أن يكون له عبدان أو ثلاثة على اسم واحد فإنهم يعتقون عليه ويستسعي كل واحد منهم بما ينوبه، إن كانوا إثنين فنصف ثمنه أو ثلاثة فثلث ثمنه وكذلك أيضا أن الرجل يبيع الدار أو الجنان فيحدها المشتري بحدودها، وأشهدت له بذلك البينة أن الدار يحكم له بها إذا حددها

بحدودها وإن لم يعرفوها. وقوله :أنا أشتري له هذه الأسماء، وهي عنده فليس ذلك بحجة. وقد تبين للمتوسمين لدده. يقول الله تبارك وتعالى : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ } (1) الذين يتوسمون الحق من الباطل. وقال الله تعالى : {...أعْمَلُوا فَسَيَرَى الله عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ } (2) ، لأنهم ينظرون بنور الله الذي شرح به صدورهم وأنار به قلوبهم. وقال: { وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ القَوْلِ .... } (3) والحق له منار يوزن بالعقول وتفهمه أهل الفطن.

---

(1)سورة الحجر:75

(2)سورة التوبة:105

(3)سورة محمد:30

(1/36)

---

(3) ...وقلت أرأيت إن شهدت البينة أن رجلا باع لرجل جميع ماله أو أصدق جميع ماله لإمرأته فأخذ بموضع من ماله في البيع أو الصداق فجحد البائع ذلك فكلف المدعي البينة فأثبت جميع ماله، وقال الجاحد: أتيت على هذا الموضع ولم أخاصمك الجميع ما تقول في ذلك، يرحمك الله ؟ قال: إن كان المدعي قصد إلى شئ بعينه فادعى فيه وكلف البينة على ما ادعى فأتى ببينة يشهدون له على ما لم يدع مع ما ادعى فلا أرى شهادتهم جائزة، لأنهم شهدوا للمدعي على ما لم يدع.

وأما قولك: باع جميع ماله أو أصدق جميع ماله ولم تعرف البينة ما كان له يومئذ من مال ولم يحط به علمهم، فإن الناس يستأنفون الأموال وربما يقع الفسخ في جميع ما يملك إذا كان فيه ذهب أو فضة فلا يباع بالذهب والفضة. وإن عرف وزن الذهب والفضة فوزنهما فجائز أن يبيع ذلك بالعروض. أما الصداق فجائز أن يصدق لها جميع ما يملك قل أو كثر، محدود أو غير محدود. وهذا ليس كالبيوع الذي يدخل فيه الفسخ والربا. والصداق ليس هو بمؤقت إنما هو على ما اتفقنا عليه من قليل أو كثير ألا تسمع

الله يقول: { وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا ... } (1) والقنطار ألف دينار وخمسمائة دينار ويكون في بعض الصداق أقل من ذلك أو أكثر / فليس فيه شيء مؤقت. وأما ما فيه الذهب والفضة إذا معزولا معروفا بوزنه فجائز شراؤه بالذهب أو الفضة يدا بيد أضعف أو لم يضاعف فيما يروى جابر بن زيد عن إبن عباس فإنما الربا عنده في النسيئة.

(4)وعن رجل إدعى أنه أسلم إلى رجل دنانير في شعير وادعى عليه أيضا دنانير وتمرا .فقال المدعي عليه: أما الشعير الذي تسألني إنما أسلمت لي دنانير فيها كانت لك علي، فأنكر ذلك المدعي. ثم إن صاحب السلم سأله دنانيره فأجابه المُسْلَمُ إليه: إنما تسألني هذه الدنانير التي صيرتها علي شعيرا. فأنكر ذلك رب السلم.

---

(1)سورة النساء:20

ما ترى إن كانت هذه دعوى مختلفة أو دعوى واحدة ؟ ثم ادعى المسلم إليه على رب السلم أنه تبرأ بالسلم من جميع ما يدعي قبله من دنانير وتمر أن قضيت لي هذا الشعير الأول الذي أراد فسادها وأثبت على ذلك بينة. وإنما أراد بذلك المُسْلَمُ إليه أن يبطل له دعواه في الدنانير ببراءته وأراد أن يبطل له الشعير بقوله: إنما أسلمت إلي دنانير كانت لك قبلي.

قال: إذا أقر بما ادعى من الشعير وزعم أنها إنما صارت إليه من قبل السلم فعليه البينة بما ادعى من الفسخ وإلا فيَمِين الطالب على ما أدى المسلم إليهوأما قوله: تبرأت لك من الدنانير والتمر إذا قضيت لي الشعير فإذا قبض الشعير ورجع فيما ترك فجائز له الرجوع فى الحكم لأنه أراد استخراج حقه، بمنزلة من يقول للغريم: تركت من حقي لك كذا وكذا وإذا أعطيتني كذا وكذا، فجائز له الرجوع فيما ترك قبل القبض إلا أن يقول له

الغريم: بعد ذلك: بقي لك كذا وكذا، فأنا أسعى لك فيه فيتركه عند ذلك بعدما اعترف له بحقه، فجائز إذا عفا عن بعض حقه. وذلك أن الله يقول للزوج: { فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ } (1) إذا طلق قبل أن يمس { إِلا أَنْ يَعْفُونَ} (2) يعني أن تترك المرأة النصف الذي وجب لها بعد الإنصاف والإعتراف لها بحقها فجائز تركها. وقوله: { أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ } (3) يعني الزوج يوفي الصداق كله فيعطي النصف الذي لم يجب لها مع الذي وجب لها. وهذا كله من المعروف والفضل. وقال للزوج والمرأة: { وَلا تَنْسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ } (4) وكل ما كان من الفضل والإحسان بعد الإعتراف والإنصاف فجائز بين الناس.

)

---

(1)سورة البقرة:237

(2)سورة البقرة:237

(3)سورة البقرة:237

(4)سورة البقرة:237

(1/38)

(5وعن رجل جاء بسارق الى السلطان ومعه السرقة وزعم أنه سرق هدا الشيء من مال أخيه /أو من قريب له ولم يجيء صاحب الشيء يطلبه ، أكان للسلطان أن يؤدبه أم لا؟ أو كان عبدا، هل ينبغي للسلطان أدبه بغير محضر من سيده، وكم منتهى دلك العقوبة للسارق إذا سرق ما لا يجب فيه القطع، أو ما يجب فيه القطع؟

(1/39)

قال : أما حد من حدود الله فلا يجوز لسلطان المسلمين تعطيله ولا تأخيره في حر ولا فى عبد. وأما أدب فليس فيه شيء مؤقت، غير أنه يقال : من بلغ الحد فى غير كنهه

فعليه لعنة الله . وأدنى الحدود خمسون جلدة لقول الله تعالى فى الإماء : { فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى المُحْصَنَاتِ مِنَ العَذَابِ } (1) . والتعزيز دون الحد. وهو أكثر من الأدب ولا يبلغ به خمسون. والأدب أقل من ذلك، وإنما هو على قدر الذنب والتمرد، فالمتمرد المعروف بالأذى ليس كمن عثر عثرتين أو ثلاثا. وينبغي أن يعفى عن صاحب الزلة إذا لم يعرف له قبل دلك إلا هذه، فالعفو عن هذا أحسن وأقرب للتقوى. والأدب عظة له ولغيره لكي لا يتمادى. ولا يعرف له وقت، منه ثلاثا أو أربعة إلى عشرة أو إثني عشر، ومنه ما يحبس به حتى تؤمن بوائقه، وهكذا باجتهاد النظر من أحكام لقطع الفساد وإصلاح العباد ممن يغضب لله ويرضسلله، ويقول لله ويعمل لله مخلصا لا يريد بذلك علوا ولا أن يهاب : { قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِيَ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ لاشَرِيكَ لَهُ } (2) في شيء من عملي، وإنما أمرت أن أعبد الله مخلصا له ديني. { أَلا للهِ الدِّينُ الخَالِصُ } (3) . فأحسنوا نياتكم وضمائركم، وليكن العفو أكبر همتكم وهواكم، لأن عمر قال : لأن أخطأ في العفو أحب من أن أخطأ في العقوبة. وقد

قال الله لأكرم الأمة : { خُذِ العَفْوَ وَامُرْ بِالعُرْفِ وَأعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ } (4) وقال {
فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ الله لِنْتَ لَهُمْ } (5) فدله على مكارم الأخلاق ليشغل به أمته فقال بعد ما
أقام فيهم سنين وعرفوا أدبه وحاله : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ.{
(

---

(1)سورة النساء:25

(2)سورة الأنعام:162

(3)أنظر سورة الزمر آيات:14،11،2

(4)سورة الزمر:3

(5)سورة الأحزاب:21

(6وعن السلطان إستعمل عاملا في بعض الكور فرفض له نصف ما يجيء منها من العشر فعمل سنة فأخذ نصف العشر، ثم دارت (1) السنة الثانية فوقف لهم حتى جمعوا ثمراتهم فعزل نصفها فوضعها في موضع من غير أمر من الأمير الذي استعمله ثم قدم إلى واليه فاستعذر عنده فعذره فقال له : بعد ما استعذرت فعذرناك (2) ، رد نصف صدقة المسلمين التي قبضتها فوضعتها حيث تأمن ولم يحل عليك الحول، فليس لك فيها شيء. فقال له العامل : إني عملت على /هذه الثمر فأحسنت فيها القيام حتى جمعت نصفي فإنها لي. فقال السلطان : إغرم ما أهلكت من الثمر فإني لا أقبل لك فيها مقالا لأنك جمعتها ولم تتم في عملي سنة بعد جمعها فحينئذ تستوجبها، فغرمه ثمن تلك الثمر.

---

(1)في المخطوطة : دار

(2)في الأصل:استعذر فعذرناك، فأصلحناها بما يلآئم السياق.

إنما الأمور على أساسها التي أسسها عليه نبي الله وأئمة الهدى من بعده والتابعون لهم بإحسان وذلك أنه إذا كانت الإمامة عن شورى المسلمين وأتمروا بينهم فاجتمعوا على رجل يرون أنه أفضل زمانه وأعلمهم بكتاب الله وسنة نبيه وأورعهم وأشدهم إجتهادا وأكثرهم نصيحة فقدموه لإحياء كتاب الله وسنة نبيه محمد عليه السلام ليحي الحق ويميت الباطل ويسلك منهاج أهل العدل في سيرتهم، قال عمر بن الخطاب رحمه الله: ألا وإني تركت الإمام الذي من بعدي على مثل المحجة إلا أن يتركها تارك. فأحسن الله له الجزاء، فإن بحسن سيرته ظهرت فضائح المعتدين. فجائز لمثل هذا أن يستعمل العمال ويبعث الجباة ليأخذوا من أهل الأموال ما أوجب الله عليه (1) في الحبوب والثمار والمواشي، فإذا أخذوا ذلك من أهل الأموال كما جاءت به السنة، ووضعوها في أهلها كما أمرهم إمام الهدى، فلا أعرف في ذلك شيئا مؤقتا، لأن هذه سعايته تطول

وتقصر، وأوقاتها مختلفة وبلدانها متفاوتة، غير أنه إذا قدم الساعي على ما استعاه جمع صلحاء المسلمين وعلمائهم فشاورهم فيما يرضخ له من ذلك، فإذا عرفوا عدد الأشهر والأيام التي غاب عن أهله وضيعته، وعلموا ما سعى عليه وما طاف به من أهل البلد أعطوه من ذلك على قدر عناه ومؤنته باجتهاد النظر من غير محاباة ولا إثرة، فيستسلم المعطي لذلك ويرضى إذ لم يتولى أموره والنظر فيها إلا أهل الدين والنصيحة الناظرين لله ولأهل دينه. أما شيء مؤقت فلا أعرفه. وكل من ائتمنته فلا تتهمه، ومن إتهمته فلا تأمنه، ولا سيما ما هو من الدين. لا ينبغي أن يتولى القدوة فيها بالناس إلا أهل العلم والصلاح.

---

(1)كذا، وله وجه، أي ما أوجب اللله عليه أخذه في الحبوب إلخ.... وقد يكون :"أوجب الله عليهم" والذي هنا تصحيف.

والصلاة والزكاة مقرونتان في كل ملة. ألا تراه قال في إسماعيل : { وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ } (1) وآخر أنبياء بني إسرائيل عيسى بن مريم، فأول ما نطق به الإقرار بالعبودية لله ثم قال : { وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا } (2) وقال : { وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ .... } (3) الآية. ألا ترى إلى / حجة المهاجرين يوم سقيفة بني ساعدة واحتجاجهم لأبي بكر الصديق حين قالوا : إئتمنه رسول الله على الصلاة فنحن نأتمنه على الزكاة لأنها مقرونة بها. والصلاة لا يؤم الناس إلا أقرأهم لكتاب الله وأعلمهم لسنة رسوله وأكثرهم (4) صلاحا. وكذلك الزكاة لا يؤتمن على جبايتها إلا أهل الفضل في الدين وذلك أن معتديها كمانعها، فلما كان معتديها إذا لم يعمل فيها بالسيرة صار كمن منعها، فاتقوا الله ولا تولوا دينكم إلا أهل الرضى والقناعة.

(7)وعن السلطان طلب إلى مشائخ البلد وصلحائهم أن يجعلوا له من عشور المسلمين وصدقاتهم شيئا. فجعلوا له ثلث العشر فاستقلل ذلك فلما رأوا لا تقوم الأمور إلا بقيامه وأن لا يجد في نفسه، فرضوا له نصف العشر من الثمر والشعير والصدقات فيصرفه حيث شاء. وبعد ذلك طلب من بعضهم أن يكون معه رجل يقوم في ضيعته حتى يشغل بأمور الإسلام على أن يؤاجروه من النصف الباقي ففعلوا له ذلك. وهل له ذلك ولهم فيه سعة ؟

---

(1)سورة مريم:55

(2)سورة مريم:31

(3)سورة البينة:5

(4)هذه الكلمة غير واضحة في الأصل و هذا أقرب شيء لمقتضى المعتني.

قال : هذه مثل المسألة الأولى. وقد بلغنا أن عمر بن الخطاب رحمه الله قال : أُنْزِل نفسي وكل عامل لي من هذا المال بمنزلة ما ذكر من مال اليتيم : { مَنْ كَانَ غَنِّيًا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالمَعْرُوفِ } (1) وذلك أنه ولي الحرمين والشام والعراق وهما جناحا الدنيا مع اليمن. وقد إنتهت عساكره بسبرة التي بين قايس وطرابلس، وفي قميصه وردائه رقاع مختلفة الألوان. فكيف بمن ولي كرعة من كراع الأرض أن يشترط لنفسه أو يؤثرها على الرعية ؟ ومن قام لله لم يطلب لعمله ثواب الدنيا. قالت الرسل : { يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي .... } (2) وقال : { وَلا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ .. } (3) الآية. وقال : { أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا (على قيامك لهم بهذا الأمر) فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ } (4) عن إجابته فلا يسرعوا إليها إذا كان ذلك لا يوجد إلا ببذل المال، ومع أن الأمر اليوم قد رق وضعف وصار الرجال مثل النساء لا يدفعون عن أنفسهم فكيف غيرهم ؟ والأمر قد شمل وهذه الدعوة قد طفئت مصابيحها وذهبت

أعلامها والقوام بها، وأعوانها والمعنيون بها في الشرق والغرب، ومن صدق الله وحاسب نفسه إعتزال الناس وفر منهم فراره من السبع . وقد بلغنا أن حذيفة بن اليمان / قال لإبنه : يا بني إنك في زمان الأشرار، وظهر فيه أهل المنكر، وظهر فيه المجانين بجمعتهم، واستخفى فيه العلماء بعلمهم. فأخف مكانك وابك على خطيئتك. وهذا يقوله والصحابة بوفرها. وهذا في أيام عثمان بن عفان قبل فتنة الدار. وعائشة وأم سلمة نساء النبي عليه السلام في الحياة وهنَّ يقلن لعثمان : يا عثمان، تخلّق ما في يدك ولم تَخْلَق ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

)

---

(1)سورة النساء:6

(2)سورة هود:51

(3)سورة محمد:36

(4)سورة الظور :40،سورة القلم:46

(1/44)

(8وعن قوم سفاكين الدماء الحرام والأموال الحرام، فإذا انتهكوا ما حرم الله من ذلك هربوا إلى موضع لا يُقدر عليه ويبقى من إخوانهم معنا لأنهم آمنون من سطوتنا. فإذا أردنا القيام إلى القوم المفسدين خرجوا من غير علم منا إلى إخوانهم فيخبروهم بخروجنا إليهم فيبتعدوا ويدخلوا الوعر. فما ترى لنا ؟ أنأخذ الولي بالولي منهم حتى يذعنوا إلى الحق، والقوم كلهم حميتهم وعصبيتهم واحدة ؟

(1/45)

قال : أما ما ذكرت من أمور الدماء والخروج في طلب من ذكرت فإن ذلك يفوقني، وليس مثلي يسأل (1) عن ذلك. ولا أعلم اليوم أحدا تسخو نفسي أن أسفك به الدماء

لذهاب العلماء. وذلك أن النبي عليه السلام إنما ولي سيف العرب المشركين، وولي بعده أبو بكر الصديق قتال أهل الردة، وولي عمر بن الخطاب أهل الملل من أهل الذمة وغيرهم. وذلك أن الله بعث نبيه عليه السلام بأربعة أسياف. و مات عليه [السلام] (2) وأبو بكر وعمر وهم الذين ولوا قتال ثلاثة أسياف يطول بذكر تفسيرهم الكتاب، وذلك مفهوم من القرآن. وسيف أهل القبلة فوليها علي بن أبي طالب مع صدر من خيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهو الذي سنها وسن السيرة فيها. وهو قوله : لولا أنا من كان يسن قتال أهل القبلة ويسن السيرة فيها، لولا أنا من كان يقاتل عائشة وطلحة والزبير ؟ فولي قتال الفئة الباغية. وكان إذا صاف العدو بعدما دعاهم إلى كتاب الله وسنة نبيه فعاندوا ولم يذعنوا لحكم الله و رسوله، وكان علي يقول لأصحابه : كفوا عن القوم حتى يبدؤوكم،فإن قتالهم بعدما يبدؤوكم حجة أخرى لكم عليهم. ويقول : لا تطلبوا مدبرا ولا تجيزوا على جريح، ولا تمثلوا بقتيل، ولا تدخلوا بيتا بغير إذن، لأن من وجب عليه القتل بالحد الذي أمر الله به لم يكن للمسلمين سبيل على ماله وولده/ ولم

يستحلوا منه ما كان حراما قبل حدثه. وذلك أن القتل من الحدود ولا يقيم الحدود إلا الأئمة العادلة. ولا يقاتل بالناس إلا من هو أولاهم بالله لتكون كلمة الله هي العليا ليعلو الحق على الباطل، ولا يجترأ على الدماء التي حرم الله بالقرآن بتحليلها بالقرآن بالحدث الذي جعل الله به سبيل على المجترحين.

---

(1)في الأصل(سيل(

(2)من الأصل

اعتبر ذلك بالحدود، إذا وقعت شبهة زال الحد لقوله [صلى الله عليه و سلم] (1) (إدرأو الحدود بالشبهات) (2) . فالدماء أشد ما يكون من الحدود. ولقد يقال : لأن أترك دما حلالا أحب إلي من أن أسفك دما حراما. ويقال : ما يزال الرجل في فسحة من دينه

حتى يسفك الدم الحرام، فإذا سفك الدم الحرام نزع ربعة الإسلام من عنقه. فما ظنك بقوله [تعالى] (3) : {...مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ (4) فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا } (5) من مطلع الشمس إلى مغربها لم يدع طفلا ولا مسلما ولا بدلا (6) ، لأن البدلاء هم أوتاد الأرض بعد الأنبياء، بهم يصرف الله البلاء. ألا ترى إلى بني إسرائيل حين قالوا لنبي لهم { ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ } (7) لأن القتل من الحدود، ولا يقيم الحدود إلا الأئمة. فلم يروا القتل إلا بإمام يقيم الحدود، ولم يتقدموا أن يؤمروا أميرا إلا من إختاره نبي من أنبياء الله، لأنه أولاهم بالله وأعلمهم بمن يستحق ذلك. وليس لمؤمن ولا مؤمنة الخيرة، إنما الخيرة لمن خلق الخلق، فهو يصطفي منهم ما يشاء، و{ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ } (8) ومن هو أفضل من عبيده، وأولى بالتقدمة والقيام بأموره فقال لهم نبيهم على النصح لهم والرضى بإقامتهم على ما كانوا عليه من الكتمان كي لا يجب عليهم الجهاد، ولا يقوموا به على حال ما كلفوا. فقال : { هَلْ

عَسِيتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا } (9) خاف إن وجب عليهم الذي سألوا ألاَّ يقوموا به فيهلكوا} .

---

(1)من الأصل

(2)ابن عدى في جزء له من حديث أهل مصر و الجزيرة عن ابن عباس، و أبو مسلم الكجي عن عمر بن عبدالعزيز مرسلا.

(3)من الأصل

(4)من الأصل

(5)سورة المائدة:32

(6)في الأصل : بديلا. والمعروف المشهور :البدل، جمع، أبدال أو بدلاء.

(7)انظر سورة البقرة:246

(8)انظر سورة الأنعام:124

(9)سورة البقرة:246

(1/47)

قَالُوا : وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا } (1) وذلك أن المجوس أخرجوهم من فلسطين والأردن والشام. فتشجعوا – بزعمهم– على جهاد أعداء الله وعلى إنقاذ أمره. قال تعالى : { فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوا .... } الآية (2) ولم يتقدموا على سفك الدماء إلا بمن اختاره نبي من أنبياء الله. وأن ذلك النبي لم يتقدم أن يختار فَرَدَّ الأمْرَ إلى العالم بخلقهم / { وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ِ:إِّن اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا. قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ المُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بالمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُوتَ سَعَةًً مِنَ المَالِ ... } (3) وذلك أن طالوت ليس من بيت المملكة، وإنما الملوك في بيوتاتهم، أي يقولون :ليس من أهل ملك ولا بذي سعة في المال { قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ وَالجِسْمِ } (4) . وذلك أن الجسم يستعين به على عبادة الله، وعلمه دليل على

الهدى وعلى ما يرضى الله. وهذا دليل أنه ليس أحد يؤتى علما يفوقه به أهل زمانه إلا وهو أفضلهم، والعلماء ورثة الأنبياء، ولا يكون خلفا منهم إلا أفضل من بقي منهم. إلى قوله : { أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ } (5) والتابوت فيه آية معجبة يطول ذكرها. وهم إذا صافوا العدو لم يتقدموا على القتال حتى يأذن الله لهم. يقال إن السحابة تظل البقرة فيقوم في التابوت دوي فتحمل البقرة فيحملوا معها فمن كان أمامها لم يرجع القهقري إلا قدما حتى يفتح الله لهم أو يموتوا} .

---

(1)سورة البقرة:246

(2)سورة البقرة:247

(3)سورة البقرة:247

(4)يشير إلى استئناف الإستشهاد بالآية بعد أن قطع عليها بما تقدم من التفسير

(5)سورة البقرة:247

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي } (1) يقول : لا يصحبني وأنا منه بريء، يختبرهم بذلك يميز المطيع لله المعظم لحرما ته من العاصي المنتهك لها المتهاون بأمره. { فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ } (2) وهم يقال ثلاث مائة ألف وثلاثة عشر ألفا فلم يجاوز النهر إلا بثلاث مائة وثلاثة عشر على عدة أصحاب بدر، فلم ينج إلا رجل من كل ألف. وذلك بعضهم حين جاوزه بالقليل { لاَ طَاقَةَ لَنَا اليَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ } (3) فقال هل الشجاعة منهم، الموقنون بلقاء الله فحكى الله مقالتهم : { كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٍ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللهِ وِاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } (4) فهزموا الجمّ الغفير والخلق الجليل وهم قلة قبل أن ترجع الكثرة منهم لأن جالوت وجنوده أكثر من عامتهم بأضعاف.

وأما أهل زماننا يقاتلون المفسدين بمن هو شر منهم وأكثر فسادا في الأرض، وتُنْهَب الأموال وتحرق المنازل. وكلاهما مفسدون ولا يكون بعض المفسدين أحب إلىالله من بعض. قال الله : { وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ المُضِلِّينَ عَضُدًا } (5) وقال { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ } (6) والمفسدون ليسوا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات لأنهم حزب الشيطان، والمصلحون في الأرض حزب الله، وحزب الله هم المفلحون وحزب الشيطان هم الخاسرون.

---

(1)سورة البقرة:249

(2)سورة البقرة:249

(3)سورة البقرة:249

(4)سورة البقرة:249

(5)سورة الكهف:51

(6)سورة ص:28

(1/49)

وأما قولك :/أن يأخد الوليُّ بالولي، فهذا أول حكم وضعه إبليس في الأرض فيما بلغنا. وقد كفاك الله السؤال عن ذلك فقال : { وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } (1) وقد قال لعبد أثنى عليه ورضى حكمه { مَعَاذَ الله أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ } (2) هذا وقد بذلوا له أنفسهم فأبى أن يقبلهم فكيف يجبرهم عن ذلك ؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(لايؤخد الأب بجريرة إبنه ولا الإبن بجريرة أبيه) (3) فاتقوا الله واصبروا على دينكم، ولا تغيروا سيرة أسلافكم فإنه يقال : يأتي من الناس زمان لا يبقى في أيديهم من دينهم إلا ما وافق دنياهم. والصبر نصف الإيمان. قال الله : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَات لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ } (4) وإنما قالت الملائكة لأهل الجنة { سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} (5) فعوا أنه بالصبر ورثوا نعيما، وملكا دائما.

(9)وعن من يعين السلطان في بعض أموره، ولم يفرض له من الصدقات شيئا ترضى به نفسه، وإن أعطاه السلطان شيئا يقول بقدرعناه، ولكن الرجل يقول عنائي يستوجب أكثر من ذلك، أولا ترى أن يرفع ذلك إلى من ينظر فيما بينهما لا وكس ولا شطط ، لأن السلطان عنده بخيل.

أو أرأيت إن رفع الرجل نفسه عن معونته، ولم ينقم عليه إلا ما أخبرتك عن شحه عليه، ولم تفرض له فوجد في نفسه بذلك ويحسب ذلك رجلا (6) من سخرة يسخره في إستعانته إياه. ويحتشم الرجل أن يرد عليه طلبته منه، هل يكون في سعة من ذلك أن يرفع نفسه عن معونة السلطان إلا بشيء معلوم.

قال : إنما الصدقات لمن سماها الله. وأما من طلب الإجارة في معونته للسلطان فلا نعلم هذا في شيء من سيرة من مضى ولا تحل الإجارة على القيام بأمر الله.

---

(1)سورة الأنعام:164 ، الإسراء:15

(2)سورة يوسف:79

(4)سورة إبراهيم:5 ، سورة لقمان:31 ، سورة سبأ:19 ، وسورة الشورى:33

(5)سورة الرعد:24

(6)في الأصل :رجل

وأما ما ذكرت من معونة السلطان، فإذا كان من أهل العدل وأمر بالمعروف وستعان على الأمور التي تلزمه القيام بها فعلى الرعية السمع والطاعة لمن دعا من الأئمة إلى ما هو لله رضى. وذلك أن الله أمر بالتعاون على البر والتقوى، ونهى عن التعاون على الإثم والعدوان، وقال تعالى : { وَأَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ } (1) وأما الإجارة في ذلك فهذا ما لا يجوز. وخذلان أئمة الهدى على الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر معصية. وقال الله تعالى : { وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ } (2(

(10)وعن قوم لقوا قوما وهم عابروا سبيل في طلب عبد لهم هرب فقتلوهم وغنموا أموالهم، والمقتولون تحت أمير مُعَطِّل للأمور ولا يشتغل بإصلاح الإسلام، فلم يشتغل بأمرهم ولم يطلب قتلهم حتى عزل فولي غيره ممن يطلب إعزاز الإسلام وأهله فطلب (3) إليه أولياء المقتولين أن ينصفهم من القاتلين وليس القاتلين برعية له والمقتولين رعية للأول ولهذا، فهل ترى له أن يطلب ثاراتهم (4) وهم المفسدون اليوم، طلب ذلك أولياء المقتولين أو لم يطلبوه ؟

---

(1)سورة النساء:59

(2)سورة الأنفال:72

(3)في الأصل . فطلبوا إليه، و هي لغة ضعيفة.

(4)في الأصل : ثارتهم....

(1/51)

قال: الناس كلهم عند سلطان العدل كأسنان المشط، لا فضل لأحد على الآخر، إذا قام بأمر الله وإنفاذ أحكامه إذ لا حكم إلا لله، وإنما قام بقطع الشكية عن الله، فالضعيف عنده قوي حتى يأخذ له حقه، والقوي عنده ضعيف حتى ينصف منه ويكون لذي الحق اسيرا. ويقال : من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ثبت الله له قدميه يوم تزول الأقدام وليس في تقصير من قصر في إيصال الأحكام ما يزيلها عمن وجبت عليه فليحكم فيما يستقبل بما أنزل الله. وأما من عفا عن حقه فليس عليه أن يلجئه إلى الطلب لأن العفو مما أمر الله به، وهو إلى التقوى أقرب. وكل ما ذكرت في مسائلك إنما ذلك في الظهور، وعلى أئمة المسلمين إذا كانوا حكاما ظاهرين أن ينفدوا الأحكام في القريب والبعيد والوضيع والشريف. والإمام الظاهر لا عذر له في تعطيل الأحكام ما دام في

أربعين رجلا فغن أنقص منهم واحد حل اللواء واعتزل الإمامة. قال عمر بن الخطاب رحمه الله /إن كنت ولي الأمر فجد، وإن كنت خلوا فعليك بنفسك.

(11)وما تقول – رحمك الله – في أب أعطى جميع ماله لإبنه فباع الإبن ذلك كله من ساعته أو من يومه أو بعد ذلك فطلب المشتري ذلك إلى الأب فقال الأب. إنما أرضيت إبنى بكلام كان مني، هل ترى بيع الصبي يكون حيازة، والمال في يد الأب حتى خاصمه المشتري ؟

(1/52)

فقال : لا يجوز لأحد أن يعطي ماله فيبقى حاسرا من المال فيجحف بنفسه. الا ترى غلى قول الله تعالى وما أدّب به نبيه فقال : { وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسَطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا } (1) يعني حاسرا من المال، فكما لا يجوز له أن يمسك يده عن النفقة في طاعة الله فكذا لا يجوز له أن يعطي ماله كله، وإنما قال :"

أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ } (2) وقوله / : { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يُقْتِرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} (3) وقوله : { وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ } (4) يعني بالسفهاء النساء والأولاد الصغار، فلا يملكهم ماله فيفسدوه عليه،فعطية الأب قد خالف فيها أدب الله. و كل ما خولف فيه السنة في السنة نقضه. وليس بيع الإبن بشيء لأن البيع عقوق لوالده في شيء لم يمكنه الملك فيه بحيازة ولا بعطية تجوز وليس للإبن من عطية الأب –إذا كان بالغا – إلا إذا حاز. وما لم يحز فليس بشيء.

(12)وما تقول في عطية رجل عمد إلى طريق الشارع فبنى أعمدة جنانه وفيه أعمدة فهل ترى للسلطان أن يحرج ذلك أو حتى يرفع إليه ذلك كله ؟

قال : الزقاق والطريق الناس فيه شرع سواء ليس لأحد أن يقطع منه دكانا يجلس فيه ويجعل على حيطانها سقفا. وقد بلغنا أن أبا بكر الصديق رحمه الله قال : من اقتطع من طريق المسلمين أو من أفنيتهم شبرا طوقه الله من سبع أرضين يوم القيامة. ولا يجوز لسلطان المسلمين أن يدع حدثا في الإسلام رفع إليه أو لم يرفع إليه، وعليه

الإجتهاد في رعاية الإسلام وأهله وقد جاء في الحديث :(من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله) (5(

)

---

(1)سورة الإسراء:29

(2)سورة البقرة:245

(3)سورة الفرقان:67

(4)سورة النساء:5

(1/53)

(13وما تقول –رحمك الله – في قوم من أهل الدعوة ولي عليهم الجبابرة وهم الحاكمون عليهم بما لا يخفى عليك من الجور وما لا يستطاع له الصفة، هل ترى لسلطان

المسلمين أن ينهض إلى أولئك الجبابرة ليزيلهم عنهم ويحول بينهم، أو يولي على أهل الدعوة ولاة ولا يقصد إلى الجبابرة فأيما أحب إليك من ذلك ؟ طلب أهل الدعوة ذلك إلى السلطان المسلمين أو لم يطلبوه ؟

قال : أحب إلينا في ذلك السلامة لدينك، فإن السلامة لا يعدلها شيء ولا يتكلف من الأمور ما تعجز عنه طاقته، فإن الأمر قد رق وضعف وعاد الإسلام غريبا كما بدأ.

واعلم أن الظهور لم يستقم للمهاجرين والأنصار إلا ثلاث سنين وأشهر لأبي بكر وعشر سنين لعمر بن الخطاب وصدرا من سني عثمان بن عفان، ثم صارت الأمور بعد ذلك إلى ما قد علمت من الخبال والتنازع. فلم يزل الإسلام في نقصان بعد كماله إلى أن عاد غريبا. واليوم قد كملت أشراط الساعة إلا ما بقي من الآيات اللاتي لا ينفع معها العمل ولا قبول التوبة (1) . فلا تنتظر اليوم إلا تلك العلامات ومجيء القيامة. فبادر نفسك والتمس السلامة قبل نزولها، فإنه بلغني أن النبي عليه السلام /(لما بعث التقم صاحب الصور الصور ووضع فاه فقدم رجلا وأخر أخرى ينتظر الأذن للأخرى) (2) وقد قال

تعالى : { فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا } (3) وقال : { إقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُم ... . }الآية (4 (

.

)

---

(1)يشير إلى قول الله تعالى:" يَوْمَ يَأتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ " سورة الأنعام:158

(3)سورة محمد:18

(4)سورة الأنبياء:1

(1/54)

(14وعن قوم أهل بغي وفساد غصبوا أرضا لقوم من المسلمين ففسلوها (1) فشكا أهلها إلى وال من ولاة المسلمين، و لم يكونوا له برعية. وإنما ولي عليهم جبار من الجبابرة.

هل ينبغي لسلطان المسلمين أن يقطع تلك النخيل التي اغتصبوها ؟ وإنما ذلك الغصب مشهور يشهد بذلك أهل تلك البلدة الذين زعموا أنه غصب منهم وقد مضت سنون عدة في يد الغاصبين.

قال : قد بينت في المسائل التي قبلها أن عليه نزع الحدث وتغيير المنكر وقطع الشكية عن الله والقيام مع المظلوم. فإذا لم يفعل فلا طاعة له وهو خليع بقول النبي عليه السلام :(وإنما أشهد الله على من وليناه شيئا من أمور المسلمين قل أو كثر فلم يعدل فلا طاعة له وهو خليع مما وليناه) (2. (

وأما قولك : أن يقطع النخيل، فكلما غرس الغاصب أو زرع فليس له إلا زريعته أو قيمة الأعواد التي غرس. وما نبت وأدرك فهو لصاحب الأرض. ألا ترى أن من حرث أرضا محجورا عليها ليس له إلا زريعته التي زرع والزرع لصاحب الأرض وليس لعرق الظالم حق.

وقولك :مضت سنون عدة، والحق لا يبطله عدد السنين.

والسلام عليك.

"?"

بسم الله الرحمان الرحيم

لأبي بكر عتيق بن أسدين من جناو بن فتى حفظه الله

(1)سألت عن رجل يدخله الشك في صلاته ووضوئه وفي الكلام وعندما يتكلم حتى يكثر ذلك منه، هل ترى له . يرحمك الله . أن يمضي على ما هو فيه فإن قال في نفسه لم يتم وضوءه أو صلاته. والرجل ترى منه الوسوسة حتى يخف أن تخرج صلاته ؟

---

(1)فسلوها:أي غرسوا فيها فسائل النخل. واحدتها، فيسلة. وهي الصغيرة من النخل، وأفسل الفسيلة: انتزعها من أمها واغترسها. انظر اللسان: مادة(فسل.(

قال :إن الشيطان للإنسان عدو مبين، وإنه يرصدكم عند كل عمل وقول. وقد علمكم الله الذي ترجى به النجاة من وساوسه فقال : { مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ" (1) وذلك أنه يوسوس في قلب ابن آدم بخطرات لو جرى معها لأفسد عليه دينه ودنياه نغص عليه العيش وكدر له الأمور وخلط عليه. فكثرة الذكر لله به يخنس الشيطان، لأن ابن آدم إذا اهتم بخير وذكر الله ودعاه مخلصا سطع نور ذلك في قلبه. فإذا سطع نور ذلك خنس الشيطان وهرب، لأنه إنما يوسوس مع الغفلة، وإنما اليقظة والإنتباه والحذر، بذلك يخنس الشيطان ولا يطمع. قال الله تعالى : { إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ } (2) فالرجل إذا دخل في الوضوء فإنما ضميره ونيته أن لو تم ذلك كما أمر، وكذلك إذا دخل في الصلاة فنيته وضميره تمامها. فإذا عارضه الشيطان بعدما فرغ بخطرات يشكك عليه فعله ويلبس عليه أمره فليمض على ما استيقن عليه أمره ويلقي عن نفسه ما أدخل عليه الشيطان من الشك. ولو كان في إعادته الوضوء والصلاة رشدا

لم يحمله على ذلك بل كان يحسن عليه فعله، ألا ترى إلى قول المسلمين فيمن أحس من نفسه خروج الريح أنه إذا لم يسمع صوتا أو يجد ريحا أنه يمضي على وضوئه أو صلاته إذا لم يكن على يقين من تقصيره. ألا ترى أن الحدود تدرأ بالشبهات إذا لم يكن الأمر مجردا مشهورا. وما كان الله ليعذب على أمر قد أبهمه ولم يبينه اعتبر ذلك بقول ابن عباس : كل ما شككت حتى لا تشك (3. (

---

(1)سورة الناس: 4

(2)سورة الأعراف :201

(3)يعني بذلك الأكل قبل التأكد من وقت الإمساك في رمضان فأباح الأكل عند وجود شك و حمله على الإباحة حتى يستبن

(1/56)

ألا تراه أبطل الشك حتى يكون على اليقين المجرد. ولو أطاع الناس الشيطان فيما يدخل عليهم من الشكوك لأفسد عليهم دينهم ودنياهم ولم يصف لهم عمل. وقد بلغنا أن رجلا سأل فقيها من المسلمين وذلك أنه وقع في نفسه أنه فارق امرأته وشك في ذلك، فوسوس إليه الشيطان ألا يقيم على ريبة وأن يفارق امرأته فسأل عن ذلك فقال له المسئول : طلق امرأتك(...) (1) فقال له : بماذا ؟ فقال له : يا لكع، أنا آمرك أن تطلق امرأتك فتقول بماذا، والشيطان يأمرك أن تطلقها فتفعل ذلك! لو جرى الناس معه لنغص عليهم حلالهم وخبث عليهم أنفسهم.

وقد بلغنا عن السلف أنهم قالوا : من كثرت أيمانه ولم يذكر حيث حنث أنهم قالوا يكفر عن ما حفظ أيمانه و أما ما شك فيه فلا كفارة عليه فيه. ولولا أن يطول الكتاب لشرحنا لك في مثل هذا كثيرا. وفيما ذكرنا كفاية فامض على ما كان عليه ضميرك الأول فإذا تماديت على ذلك أيس منك فاقطع ذلك عن نفسك. قد بلغنا أن النبي عليه السلام إذا

اجتمع عليه أمران أخذ بأيسرهما (2) ، واليسر أحب إلى الله، وقد قال الله لقوم : { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ } (3) فلم يعاقبهم إلا بالتمادي باليقين

(2) ...وذكرت في رجل بين ظهراني قوم يرون أن يجبروا الناس في الخروج إلى المحاربة . فسرق له عبد فبلغ ذلك الأمير / فحشد من الناس رجالا كثيرا. هل ترى لهذا الرجل الذي سرق عبده أن يخرج معهم ولا يعينهم على ما هم فيه بشيء إلا أنه يتبعهم، فإذا نزلوا نزل وإذا ساروا سار وكف.

---

(1)ها هنا كلمة لم أتمكن من قراءتها و رسمها هكذا : بنبرت

(2)البخاري في كتاب الأدب ، باب قول النبي صلى الله عليه و سلم " يسروا و لا تعسروا " و بهامش فتح الباري 436/1، و مسلم كتاب الفضائل باب مباعدته ،صلى الله عليه و سلم للآثام و اختيلره المباح . و انظر البيهقي: دلائل النبوة ،تحقيق السيد أحمد صقر : 1 : 265

(3)سورة النمل 14

(1/57)

قال : لا أرى له صحبتهم، لأن من كثر سواد قوم فهو منهم. والناس حزبان، حزب الله وحزب الشيطان. فكل حزب مفسد أو يتعدى الحق إلى الباطل وليس قبله سيرة المسلمين وحالهم فهم من خيل إبليس ورجله (1) لأنهم إذا ظفروا وغلبوا أفسدوا فكل مفسد، والمفسدان كلاهما سواء ليس بعضهم أحب إلى الله من بعض، لأنهم كلهم مفسدون، والمؤمنون يصلحون في الأرض ولا يفسدون. قال الله تعالى (2) : { أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ } (3) ثم نعت المأذنون لهم فقال : { الذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ .... } (4) الآية يقول :إنما أذنت لهم في القتال لأنهم إذا غلبوا قاموا بصلاح البلاد والعباد وإحياء الحق وإماتة الباطل .وذلك أن طاعة الله

غلت أيديهم عن ما لا يحل، وأما من أطلق يده ولم تغلها الطاعة فهو مفسد فلا سبيل للمؤمن إلى عونه ولا إلى تكثير سواده.

(3) ...وأما قولك : هل يحرض قاضيهم على الخروج ؟

إنما قال الله لنبيه { حَرِّضْ المُؤْمِنِينَ عَلَى القِتَالِ } (5) فإذا لم يكن ممن يجوز له القيام بأمر الله، فالمحرض إنما يثوره ليشعل ناره. فالكف والإعتزال له أسلم.

(4)وأما قولك إذا أراد التوبة.......

---

(1)أنظر سورة الإسراء : 64

(2)العبارة في الأصل :فإن الله أذن ...الخ و هو تصحيف فيما يبدو و قد أصلحته كما ترى.

(3)سورة الحج 39

(4)سورة الحج 41

(5)سورة الأنفال 65

(1/58)

فليستغفر الله ويضمر ألا يعود، لأن الرجل الذي حرض مالك بنفسه، ولو كان الأمر حاكما عليه للزمه الفعل، ولو كان عبدا له أو طفلا له للزمه الفعل أيضا. فأما البالغ المالك لنفسه فأرجو أن تسعه التوبة لأنه أمر بالمنكر إذ [أمر] (1) بالبسط من لا يجوز له البسط. المسلمون اليوم في كتمان. وإنما يجوز الدفع لما لم يجدوا من دفعه بدا مثل نار أقبلت عليهم إن لم يطفوها (2) عن أنفسهم هلكوا.

(5)وكيف ترى لي إن سرقت داري أو نزل اللصوص في خزائني فأخرج الأمير سرية فخرجت معهم على وجه حفظ مالي أو دفاع اللصوص عن مالي بغير قتال، وإن كان قتال خرجت بنفسي....

قال : قد بينت لك المسألة الأولى الذي جاء في الحديث أن من كثر سواد قوم فهو منهم (3) .قال الله تعالى ليتأسى به : { وَ مَا كُنْتُ مُتَّخِذَ المُضِلِّينَ عَضُدًا } (4) . وجاء في الحديث (اعتبروا الناس بأخذانهم، فإنما يخاذن الرجل مثله) (5) . يعني لا يصاحب الرجل إلا مثله الطالح مع الطالح والصالح مع الصالح. وإنما تنزل الطير [على أشباهها (6)]/ وقد قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ } (7) إلى قوله : { قَالَ الحَوَارِيُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ } (8) . وأنصار الله يصلحون في الأرض ولا يفسدون، وأنصار الشيطان يفسدون في الأرض ولا يصلحون.

(6)وأما قولك : ثارت الصيحة..

---

(1)زيادة ليستقيم بها الكلام : و يعني بالبسط هنا . بسط اليد بالقتل أو غيره

(2)هكذا في الأصل بحذف الهمزة من الكلمة

(4)سورة الكهف

(6)ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل . و هذا أقرب شيء يدل عليه المعنى

(7)سورة آل عمران 52

(8)سورة آل عمران 52

(1/59)

وأهل هذا الزمان لا ينبغي الخروج معهم إلا أن يكون خروجهم إلى جراد أو سمك فلا بأس أن تخرج معهم، وأما غير ذلك من خروج بعضهم إلى بعض فاحذر واهرب من الناس كهروبك من السبع. ألا ترى إلى قول حذيفة لابنه : يا بني إنك في زمان الأشرار وظهر فيه المجانين بحمقهم واستخفى فيه العلماء بعلمهم فأخف مكانك وابك على خطيئتك. ألا تراه أمره بالعزلة في ذلك الزمان والصحابة بوفرها. إلا أنه لم ولي أمور الناس من حاد عن طريقه من كان قبله قال ابن مسعود : كن حلسا من أحلاس بيتك واعتزل الناس وما هم فيه. ونفير أهل التوحيد إلى أهل التوحيد بأسباب تكون بينهم

فاحذر ثم احذر فإنكم أن تتركوا دما حلالا خير من أن تسفكوا دما حراما وتكثروا سواد من سفكها.

(7)وكيف ترى في رجل وقع في بئر فمات فيها فأخرج من يومه ذلك والبئر كثيرة الماء فتوضأ من ذلك الماء وصلى به وأسقاه بقوله.

قال: بلغنا أن زنجيا وقع في زمزم فأمر ابن عباس أن تسد عيونها وينزح ماؤها كلها. فإن كان البئر تنزف فلينزحوا ماءها. وإن كانت لا تنزف فليرفعوا منها أربعين دلوا إلى خمسين.

وأما قولك : توضأ منه رجل وسقى منه بقوله فإنه يقال عن الربيع بن حبيب : إذا كان في الماء أربعين قلة بقلال هجر فلم ير بأسا إذا لم يتغير طعمه أو لونه أو رائحته. وقلال هجر إنما هي حباب كبار. ولعلك رأيتها بمكة بمنى عند السقاية بياعة الماء.

(8)فكيف ترى في رجل بين ظهراني قوم يدينون بملوكهم فيؤذنون، أفينبغي لنا أن نصلي بأذانهم ولم نعلم أم الوقت قد حان، أو أذن رجل ليس بأمين ؟

قال : كان يقال :المؤذنون (1) أمناء، والأئمة ضمناء (2) . ويقال :إن الصلاة وجه الإسلام وعمود الدين. فلا يأتمن المسلمون على دينهم إلا أهل الرضا والقناعة. فإن علمت أنه يؤذن قبل الوقت في الظهر والعصر والمغرب والعشاء فلا تثق به في أذانه إلا في وقت المغرب، فإنه لا يؤذن للمغرب قبل غيوب الشمس. وأما صلاة الصبح فقد يجوز الأذان لما قبل طلوع الفجر/ ولذلك يثوب المسلمون لما يعلمون للناس أنه قد انفجر الفجر وحلت الصلاة.

(9)وكيف ترى أن لم تعرف دخول الشتاء وخروج الصيف، أي وقت نصلي العصر في ذلك؟

قال : وقت الأولى في الشتاء والصيف واحد. إنما هي إذا زالت الشمس وفاء الفيء ودلوكها. وذلك أن ظل الشيء ما دام ينتقص فليس الوقت، فإذا امتد زائدا فقد حان

الوقت وهو وقت الظهر في الشتاء والصيف. فالزيادة إذا كانت مثل ظل الشيء بعد الوقت فهو وقت العصر والظل إنما يمتد في الشتاء ثم يبدأ في الزيادة وربما يقصر ثم يبدأ في الزيادة. وأما جملة قولهم إذا كانت الزيادة أكثر من ظل الشيء مثليه وهو وقت العصر في الشتاء والصيف.

(10)وذكرت رجلا مات أبوه وترك ولدا صغيرا لا يعلم مال أبيه، ولأبيه عبد غير مؤتمن فجعل العبد يريه ما ورث من النخل وغيرها من الأصول. أو للصبي عم غير مؤتمن أيضا فجعل يخبر الصبي بقوله : هذا مال أبيك. وهذا إنما ورثناه، أنا وأبيك من أبينا، فاقتسمنا هذا حظ أبيك. أو رجل قال له بعث لأبيك هذه النخلة، والرجل غير مؤتمن فجاء من يدعي تلك النخلة، هل لي أن أحول بينه وبينها ؟

---

(1)في الأصل : ان المؤذنون . و حذفت إن و أبقيت الحديث على نصه ليستقيم الكلام

(2)جاء في الحديث عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :" الإمام ضامن ، و المؤذن مؤتمن . اللهم أرشد الأئمة ،و اغفر للمؤذنين" رواه أحمد و أبو داود و الترمذي.

(1/61)

قال : إن كان ذلك في يد العبد أو العم فأقروا له بذلك فجاء مدعيه فالبينة على المدعي لأن الشيء في يد المقر لليتيم قبل ذلك. وإن كان ذلك في يد غيرهم. يجوز ويبيع، فإنما هذا متهم. الشهادة على القاعد فيما ادعوا وليس شهادة غير عدل بشيء. فإن شاء حلف المدعي عليه بالله الذي لا إله إلا هو أنه ليس له فيما ادعى شيء بوجه من الوجوه.

(11)وذكرت رجلا إستأجر أجيرا فمات الرجل وبقي الأجير فأخذه الورثة فقال لهم الأجير:ليس أنا مثل العبد حتى ترثوني. وقال له الورثة : إعمل لنا كما وأجرك أبونا وإلا رد لنا ما إستأجرك به أبونا. هل للورثة أن يستعملوه أو يجبره السلطان في عمل الورثة؟

قال: ليس للورثة حق فيما ذكروا، ويأخذ الأجير حساب ما مضى، لأن الملك قد زال عن الذي إستأجره. ولو قالوا :لا نستأجرك. جاز لهم ذلك، ولا يجبروا على إتمام شرط الميت، فكذلك لا يجبر الأجير فلا يجوز لهم قبول الباطل ممن حكم لهم به.

(12)وذكرت رجلا تفكر في أعمال العباد من المعاصي وعلم أن الله تعالى لا يكره على شيء، فما الحكم في المعاصي التي يعملها العباد؟

(1/62)

قال : لا يقال لله تعالى فيما حكم كيف حكمك في هذا، وقد / حكم { أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ } (1) . وقضى { أَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى } (2) . ولا نرغم أن الله تعالى يجبر على الطاعة أو يجبر على المعصية. ولا نرغم أن الله تعالى يعصى كرها، ولو لم يحب أن يعصى لما خلق إبليس. وما شاء الله لا بد أن يكون. وما شاء ألا يكون لا يكون. ألا له الخلق والأمر في الخلق. وقد سب قوما قبل أن يخلقوا

وذمهم، وأثنى على قوم وهم لم يخلقوا. ألا تراه ذكر نبيه عليه السلام وأثنى عليه بفعله في التوراة والإنجيل باسمه قبل أن كون شخصه ونعت أصحابه باتباعهم فقال : { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ } (3) إلى قوله : { ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ } (4) يقول هذا نعتهم في التوراة، وذكر نعتهم في الإنجيل وقال : { وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ } (5) يقول نعتهم في الإنجيل { كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ } (6) إلى آخر الآية.

____

(1)انظر سورة البقرة 286

(2)انظر سورة النجم 39

(3)سورة الفتح 29

(4)سورة الفتح 29

(5)سورة الفتح 29

(6)سورة الفتح 29

وقال : { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ } (1) فكرر عليه الشتيمة والسورة مكتوبة في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق آدم. وقال : { وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ } (2) . يعني في اللوح المحفوظ. وأثنى على النبي عليه السلام قبل كون شخصه فقال : { .. النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ } (3) . إلى قوله : { وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ " (4) . فنسب إليه الأمر والنهي قبل أن يخلق. وذم قوما (5) فقال : { وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ } (6) . فنسبها إليهم قبل أن يعملوها. والمسلمون يؤمنون بالقدر خيره وشره أنه من الله. وقال مسلموا الجن : { وَأَنَّا لاَ نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا } (7) . فالشر والخير لا يكون منهم إلا ما أراد الله من كونهما.

(13)وعن رجل قال : حرام لا أفعل، ففعل، ما عليه في ذلك ؟

قال : الله أعلم.

(14)وعن رجل له على آخر دين، فلزمه، فاستأجر نفسه لرجل.

قال : إن كان الملزوم قد حكم عليه السلطان بالأداء فزعم أنه لا مال له فلا سبيل له أن يستأجر نفسه حتى يقيم البينة أنه مفلس لا مال له، فعند ذلك ينادي عليه السلطان بالإفلاس (8) كي يحذر الناس منه، ويخلي سبيله وسبيل للغريم إلى لزومه، فلزوم المعسر ظلم، كما أن مطل الغني ظلم. قال الله تعالى : { وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسُرَةٍ } (9) . والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد.

"?"

بسم الله الرحمان الرحيم

---

(1)سورة اللهب 1

(2)سورة يس 12

(3)سورة الأعراف 157

(4)سورة الأعراف 157

(5)في المخطوطة : قوم

(6)سورة المؤمنون 63

(7)سورة الجن 10

(8)في المخطوطة : بالفلاس

(9)سورة البقرة 280

لأبي سفيان عبد القهار بن خلف حفظه الله، من رجل من إخوانه السلام عليك ورحمة

الله، وأوصيك ونفسي بتقوى الله. كتابي إليك بعدما بلغني أنك تزوجت امرأة من قرابتك /

وهي إبنة عمك. فالحمد لله على ما هيأ لك من أمرها وكفاك الكثير من مهم أمورها.

وهناك الله كرامته، وألبسك عافيته وأسأل الله أن يذلل لك صعوبتها، ويرزقك منها الود والذرية الطيبة، ويجعلها لك أنسا تسكن إليها، وعونا على دنياك بحسن تدبيرها، ولا أحرمك الله من ذلك ما اختص به أولياءه فإن الرجل حسن جميل أن تكون له زوجة أو ذرية طيبة. ولأن الرجل إذا تزوج فقد حصن نصف دينه، وما كان له من ولد فهم قوة للإسلام. ولقد قال الله تعالى في أفضل خلقه : { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً } (1) فقد طال مكثك بلا زوجة، وقد إستبطأنا ذلك منك ورجونا لك من الله – مع ذلك – التوفيق والسداد، فتزوجتها على أحسن التزويج أمرت به الفقهاء من كفك عن الدخول في المهر الثقيل وقد صدق الله ظنك به، وقديما كنا نسمع منك إذا نحن خاطبناك في هذا الأمر وما أبطأت عنه من النكاح، تقول:

وَأَنِّي لأَرْجُو اللهَ حَتَّى كَأَنَّنِي أرَى بِجَمِيلِ الظَّنِّ مَا الله صَانِعُ

ونحوه من القول. وكنت تقول : سيجعل الله بعد عسر يسرا. والحمد لله الذي وفقك وهداك، وأسأل الله لنا ولك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشاد. غير أني أكلمك كلام سائل متثبت لا كلام عابث متعنت، إني كنت أسمعك تفتي في مسائلك أن تزويج ربيبة الأب للإبن، أن ذلك مكروه، وكنت تذكر ذلك عن جابر بن زيد رضي الله عنه. وقديما كانت عليك هذه الجارية أن تتزوجها فيمنعك ما قد بلغك عن جابر. وقد كنت أسمع أيضا تفتي فيها بأرخص من هذا عن جابر. فأخبرني بالذي حملك اليوم على تزويجها، وأخذت بقول غيره بعدما كنت أخذت بقول جابر.

---

(1)سورة الرعد 38

قال : قد كان الذي قلت وذكرت كما هو، غير أني أخبرك عن أمر جلا عني الغشاء وكشف عني الغطاء وأذهب عني الشك، إنه لما جاء الخبر بالليل أن عساكر وريون وغيره انهزمت في "تراغن" (1) جاءني الخبير بذلك وهو عبد الله بن عبيدس الشباهي، وكان لي صديقا مصافيا وخليلا مواتيا فأيقظني من نومتي وأنا مريض بمرضي، وقد كنت مريضا ذلك أربعة أيام، فذكر لي الخبر أن العساكر قد انهزمت، وأن وريون وإبراهيم بن أسدين قد جاءا كلاهما مهزومين وقد نزلا في بيت أبي الروس. فقلت أكذلك الخبر؟ قال : نعم. فقمت مبادرا واتكأت على رمحي فدخلت الدار التي فيها وريون و إبراهيم فوقفت عليهما وأخذت منهما تصحيح الخبر، فرجعت / إلى داري فلقيت رجالا يقصدون الدار دار أبي الروس للخبر. فقلت :إرجعوا فإن معي لكم الخبر، فعجزت قوتي عن البلاغ إلى داري فاعتمدت على رجل من قرابتي حتى جئت داري واضطجعت على فراشي فجعلت أقص الخبر عن القوم فبينما أنا كذلك إذ أتاني رجال من أهل "زريعة " معهم مصطار بن عبدوس وغيره فقالوا : إن كانت لك طاقة بالثبوت على الحمار فارحل

بنا ساعتنا إلى "زريعة" : فقلت : بل إصبروا أطيق ذلك. فعملت على الخروج إلى "زريعة " ساعتئذ بلا أن أستشير رجلا في ذلك. فخرجت حتى فصلت خارجا من "شباهة "، وتفكرت في خرجتي من "شباهة " بلا مشورة مشير فألزمت نفسي أمرا ثم هممت بالرجوع فخفت على ما معي من العبيد وغير ذلك. فرجعت إلى نفسي وقلت : يا نفسي، خرجتك هذه إنما هي خرجة قضاها الله، وقد كنت أعرف أن فيما قضى الله الخيرة كان ذلك فيما كرهت أو أحببت، فامض على ما قضى الله وأحسن الظن بالله، فإن ما علمت فيما مضى أن الخيرة فيما قضى الله، والعلم علم التجارب.

---

(1)رسم الكلمة في الأصل عار عن الأعجام عدا حرف النون ، و الموضع المعروف بهذا الإسم اليوم هو "تراغن " و تقع جنوب سبها و تبتعد عنها حوالي 120 كيلوا متر تقريبا

فمضيت أمامي حتى نزلت "زريعة " ليلا وأنا مريض فبت بها بقية ليلتي فأصبحت من الغد فذكروا لي أمرها فقلت في نفسي : أنا مشغول عما يقولون. فدأبوا على الكلام وأكثروا ورجعت إلى نفسي وقلت ألم تختبري فيما مضى أن كل أمر سهلت عليك أسبابه وانفتحت لك أبوابه أن ذلك الخير وفيه الخيرة، وأن فيما اختبرت أن كل أمر أغلق عليك أبوابه وضاق عليك مذهبه وتعسرت عليك أسبابه في ترك ذلك الخيرة والخير، والعلم علم التجارب. ثم رجعت إلى ربي فقلت:اللهم إنك ترى ما انفتح من أبواب هذه الجارية وسهل من أسبابها، فإني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، رب إنك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر وأنت علام الغيوب، أسألك أن تأخذ بناصيتي في أمر هذه الجارية إلى خير ولا تكلني إلى نفسي ولا تذرني وهواي فأكون مخطئا وأنت تعلم قدرها في نفسي إنه صغير وغايتي لو كانت الخيرة في تركها وأنت تعلم كراهتي لها، غير أني فيما اختبرت أن كل أمر سهلت علي أسبابه وانفتحت لي أبوابه أن فيه الخيرة

والعلم علم التجارب فإن كانت لي فيه الخيرة لديني ودنياي وآخرتي ومعيشتي وعاقبة أمري فيسرها لي. وإن لم تكن لي فيه الخيرة فحل بيني وبينها وارزقني الإستسلام لأمرك والرضى بقضائك. وإن كان منك / في هذا أمر يا رب فأرني ذلك في المنام وليكن على يد النبي عليه السلام، وحَفِّظْنِي ما يقول رسول الله حتى لا أنساه. فدعوت بهذا كله أو بعامته فنمت على شقي الأيسر، وإنما هي نومة أغلقت فيها عيني فرأيت النبي عليه السلام قادما مع أربعة من الأولياء، أولياء الجارية، غير أنهم ليسوا الأولياء الذين نعرف، فوقف عليهم واقفا بيني وبين هؤلاء الأولياء مقدار عشر خطوات أو أقل وأنا خلفهم وخلفي مسجد مصلى العيد فقال لهم صلى الله عليه : إن جبريل بعثني إليكم أن زوجوا فلانة لفلان، فذكر إسمي وإسمها وقعد صلى الله عليه وسلم. وعلمت أني في رؤيا ووددت لو أنها طالت، وذلك وأنا في المنام.

(1/67)

واستيقظت من نومتي وحفظت كل ما رأيت كما ذكرته لك في كتابي حرفا حرفا. فقلت في نفسي ونطق به لساني : ما بعد هذا من البصائر لقوم [يوقنون] (1) . وقلت أيضا:اللهم إنك قلت : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ المَوْتَى. قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ؟ قَالَ : بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي } (2) . اللهم زدني بيانا أو كما قلت في دعائي. فنمت ولم أر شيئا. فقلت : ما بعد ما قد سبق من البيان والخبر عن النبي عليه السلام من البصائر لقوم يوقنون، وإنما سألت الله أن يريني النبي عليه السلام فزادني مع محمد جبريل عليه السلام. ومحمد وجبريل صلوات الله عليهما هما صاحبا الوحي، وهما أمينا الله في وحيه، وهما أفضل خلقه. والنبي يقول فيما بلغنا عنه :(من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي) (3) وأحسب أنه قال :(ولا بالكعبة). فما كذبت فيما قصصته من رؤياي. وما كذب رسول الله فيما جاء به عن جبريل، وما كذب واحد منا فيما جاء به. كل جاء بالحق وقال به والحمد لله رب العالمين.

---

(1)هذه كلمة ساقطة من الأصل : و انظر النص في الشماخي : السير :191

(2)سورة البقرة 260

(3)رواه أحمد و ابن ماجة و الترمذي عن أنس و ابن ماجة في الرؤيا

(1/68)

فلما رأيت هذا كله رجعت إلى ما كنت علمته قبل ذلك من ضيق طبيعة الجارية، وسوء خلقها. وقلت:كيف لي بهذا ؟فجئت إلى عمة لي وهي عمة الجارية يقال لها أميمة بنت الحباب فقلت لها:إني فيما خلا كنت أعرف هذه الجارية ضيقة الطبيعة وحرجة الخليقة. فقالت:إنه قد اتسع ما كنت تعرفه ضيقا. وسألت أختي أيضا بمثل ذلك فقالت مثل قول عمتي. فتزوجتها بعد ذلك بأيام ثم انقلبت من "زريعة " إلى "شباهة " فأقمت ما شاء الله، ثم أتيت بها وأقامت معي ما شاء الله ثم ابتنيت بها فظهر لي منها ضيق طبيعة وسوء خلق وصلافة منطق بالفراء (1) من القول، والمنكر في المنطق، والزور في الشهادة /

وقد قال الله تعالى: { الَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا } (2) . وقال: { إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ الغَافِلاتِ المُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابُ عَظِيمٌ. يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهُمُ اللهُ دِينَهُمُ الحَقُّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ } (3) . ونظرت في ضيق خلقها، وقلت في نفسي:كيف لي بترك ما جاء به سبب عن النبي عليه السلام، وكيف لي بالدخول على ما قد علمت من ضيق الطبيعة، وأنا أكره خلاف ما جاء فيه سبب عن النبي عليه السلام. ثم رجعت إلى نفسي وقلت يا نفسي، إقصدي على العمل بما جاء النبي عليه السلام. فإن وافقت طبيعتها ما جاء النبي فهو الرجاء وإن خالفت طبيعتها ذلك كان ما كان. والنبي عليه السلام لم يضمن لي فيها حسن الخلق.

---

(1)في الأصل : بالفراء من الفراء من القول . و هو هنا بمدة فهمزة و الذي في كتب اللغة الفرى مقصور ،و هو الكذب.

(2)سورة الأحزاب 58

(3)سورة النور 23-25

(1/69)

فتزوجتها إتباعا لما جاء من السبب عن رسول الله وعن جبريل عليه السلام. غير أني أرجو مع ذلك – إن شاء الله – وإن كثر فراؤها وقولها بالزور والمنكر على المؤمنات والمؤمنين، أن تصلح يوما من الدهر أو تتوب من قولها وترجع عن مقالها فإن الله هو التواب الرحيم.

قال تعالى: { ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّاب الرَّحِيمُ } (1) فبدأ بالتوبة من الله وقد قال: { وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الوَارِثِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ

وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ.... } (2) فيقال – والله أعلم – إنه كان في لسانها طول. وقال: { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } (3) . وقال: { وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى. إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى. عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى } (4) . الآيات. وأسأل التوفيق للصواب وخيرة الأسباب. فإن الله هو الموفق للخير والمعين عليه، فأسأله أن يأخذ بنواصينا إلى الخير ويبدينا إلى مراشد الأمور وأحبها إليه إنه جواد كريم. وصلى الله على محمد.

"?"

بسم الله الرحمان الرحيم

لأبي يوسف وريون بن الحسن من عبد القهار بن خلف

السلام عليك ورحمة الله. أوصيك ونفسي بتقوى الله العظيم، والعمل لما أنت صائر إليه عن قليل. فأدم على ذلك حتى تلاقي عملك، إن يكن خيرا سرك، وإن يكن شرا ساءك،

واعلم ولا تغفل، فإنك إن تغفل لن يغفل عنك، وخذ حذرك وحاسب نفسك. فإن المؤمن من يعلم أن ما قال الله كما قال، وهو من أحسن الناس معونة، والمنافق يقول:سود الناس كثير وسيغفر لي ولا بأس، ويتمنى على الله الأماني.

---

(1)سورة التوبة 118

(2)سورة الأنبياء 89

(3)سورة الأنبياء 90

(4)سورة النجم 1-4

(1/70)

إعلم أن كتابك وصل إلي تذكر فيه أن أكون لك عينا على قاضي "شباهة" وأن ما رأيت منه من خير أو من شر أعلمتك بذلك في سر وقلت :/ وخذ بحظك من الإسلام ولا

تستغني عن أموره فإن المؤمنين يشد بعضهم بعضا كالبنيان، مع ما قلت من هذا أو نحوه. فقد قرأت كتابك وفهمته. وأعلم أني في معزل من هذا وذلك لما أراه من عنايتي بما في بيتي واشتغالي به. ولقد أقيم ما شاء الله وأنا غير عارف بم الناس فيه من الأمور إن شاء الله. ولو أن عندي ما يصلحني في عيالي لطبعت على بابي ثم لم أخرج على بشر ولم يدخل علي حتى ألحق بالله. إلا ما شاء الله من ذلك. وأنت طلبت الشيء مني في غير موضعه، وأنا اليوم كما قال القائل:

أَصْبَحْتُ لاَ أَحْمِلُ السِّلاَحَ وَلاَ أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرَ إِنْ نَفِرَا

وَالذِّئْبُ أَخْشَاهُ إِنْ مَرَرْتُ بِهِ وَحْدِي وَأَخْشَى الرِّيَاحَ وَالمَطَرَا

فكيف أتعرض لهذه المعاني مع ما أنا فيه من ضعف القدرة:وما عالم أمرا كمن لا يجرب. وكفى بالمرءِ جهلا إن لم يعرف قدره. وينبغي للعاقل أن يكون بصيرا بأهل زمانه، مقبلا على شأنه وسيأتي ما وصفت لك في صدر كتابي هذا، وبالله التوفيق والصواب وأسأل الله أن يجعل غنائي في نفسي، ويرزقني لزوم ما ينفعني والعمل به،

وترك ما لا يعنيني واجتنابه. فإن ذلك عليه يسير، وما شيء عليه بعزيز والسلام عليك

ورحمة الله وصلى الله على النبي.

ويقال : شر النسك نُسْكُ العَجَمِ، فاحْذرْ على نفسك، والبَرْبَرُ من العَجَم.

(1/71)